المشرق

الرتبة البطريركيَّة

نبذة في اصلها وتاريخها وحقوقها

للاب ميخائيل تابتزيه اليسوعي

أنهُ لمن الامور المقررة الثابتة ان السيد المسيح بانشائه كنيستهُ جعلها جماعةً منظورة تامَّة الأهبة وجهَّزها بكل ما تختصُّ بهِ الالفة النظاميَّة من تعدُّد الاشخاص المرتبطين بالوحدة الساعين وراء غاية معلومة تحت قيادة سلطة شرعيَّة ترجع اليها كلُّ الافراد. ولذلك نراهُ عزَّ وجلَّ قد دعا كنيستهُ مرارًا باسم المُلك او المملكة او الملكوت (المشرق ٤ : ٨٩٢). ويريد لهذا المُلك البقاء الدائم بحيث لا تقوى عليهِ ابواب الجحيم. وغنيٌّ عن الدليل أنهُ لا مُلك بلا مَلك كما لا جسد بلا رأس. ولا بد لهذا المُلك ان يكون مدبّرهُ واحدًا لئلا يصيب الجسم انقسام فيتمَّ فيهِ قول الرب (لوقا ١١ : ١٧): «انَّ كلَّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب»

وكلٌّ يعلم انَّ هذا الرأس المنظور الذي اختارهُ الرب لتدبير كنيستهِ انَّما هو بطرس المدعو لذلك بهامة الرُسل الذي عليهِ بنى المسيح كنيستهُ كما يُجعل البناء على صخرة لا تتزعزع مهما صادمتها سورة الرياح واشتدَّت عليها الانواء.

على انَّ اختيار السيد المسيح لبطرس الصفا لم يمنعهُ عزَّ وجلَّ ان يصطفي لكنيستهِ رؤساء آخرين ادنى منهُ درجةً يذعنون لاوامره ويساعدونهُ في مباشرة مهنتهِ العظمى ولذلك نرى الرب لذكرهِ المجد بعد اختصاصهِ سمعان بطرس بالسلطان السامي على الكنيسة والرعاية العليا لقطيعهِ الناطق لم يهمل بقيَّة الرسل بل جعل لهم قسمًا صالحًا من سلطتهِ اذ ارسلهم الى العالم اجمع ليبشروا بالخلاص كلَّ الامم واعطاهم ان يحلُّوا ويربطوا

ويعلّموا ويرشدوا. وكما انّ الباباوات خلفاء بطرس في سلطانه الاعظم على الكنيسة فكذلك الاساقفة هم خلفاء الرسل في تدبيرها معهُ كما يشهد على ذلك سفر الاعمال حيث ورد على لسان بولس لكبار كهنة افسس ورُعاة كنائس آسية: (٢٠ : ٢٨) « انّ الروح القدس اقامهم اساقفة ليرعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ ». فبيَّن على وجه صريح انّ للاساقفة الشرعيين حقوقًا في سياسة الكنيسة ورعاية المؤمنين

هذا مجمل ما ورد في الكتاب الكريم عن الرئاسة البيعيَّة اعني سلطةً أُولى ساميةً تعمّ كل افراد الكنيسة وهي السلطة البابويَّة وسلطةً ثانويَّة تختصّ بقسمٍ قسمٍ من قطيع المسيح تحت امرة الرئيس الاكبر وهي السلطة الاسقفيَّة

*

لكنّ السيد المسيح الذي وضع اساس الكنيسة وعُني بتدبير نظامها بالاجمال ترك لرسلهِ وخلفائهم ان يتمّموا هذا النظام ويزيدوهُ وثاقةً ومتانةً بانشاء مناصب أُخرى ورُتب جديدة يرونها مناسبةً لامتداد الكنيسة ونجاحها ولحسن رعاية اولادها حسب الازمنة والامكنة شأن الممالك الكبرى التي يوفّر سلطانُها مراتبَها وادارات امورها على قدر اتساعها وعلى حسب مقتضى احوالها التي تتقلّب فيها على كرور الدهور .

والكنيسة ما كادت تخرج من العليَّة الصهيونيَّة حيث اضرم الروح القدس بنارهِ الالهيَّة قلوب ذويها ونفخ فيهم روحًا جديدة حتى اندفعت كالسيل العرمرم الى كل انحاء العالم الرومانيّ بل تجاوزت بعد قليل تخوم سيطرة القياصرة فبلغت اقاصي الدنيا. لكنّ الرسل الذين عهد الرب اليهم شؤون كنيستهِ ما عتّموا ان فهموا انّ انتشار ملكوت الله يستدعي انشاء وسائط جديدة لجمع شمل الكنائس وارتباط بعضها ببعض ليسهل ارتباطها مع رئيسها الاعلى الذي جعلهُ المسيح نائبًا لهُ على الارض. ومن ثمّ رأى الحواريون انهُ لا بدّ ان يُجعل بين الاساقفة اختلاف ما ليس في الدرجة التي هي واحدة ولكن في الرتبة والسلطة بحيث يكون بعضهم خاضعين للبعض فيصير للاساقفة رؤساء يتوسّطون بينهم وبين حبر الاحبار واليهم يرجع الاساقفة في امورهم العاديَّة دون ان يضطروا في كلّ آن وحال ان يراجعوا المركز الاوَّل

والحقّ يُقال انَّنا اذا تصفّحنا اخبار البيعة منذ نشأتها رأينا انّ الرسل لم يكتفوا

بان يسقفوا على كل مدينة اسقفاً يقوم باعبائها بل اختاروا نخبة من تلامذتهم جعلوهم في حواضر المدن وأمهات البلاد وفوّضوا اليهم بان ينشئوا في نواحي تلك البلاد كنائس اخرى يقيمون لها رعاة يهتمّون بصوالحها الروحيّة و يرعون المؤمنين تحت حكمهم ونظارتهم . وتلك هي رتبة كبار الاساقفة التي يشير اليها الكتاب الكريم في اسفار العهد الجديد . فانّ الرسول يوحنا الحبيب مثلاً يذكر في سفر الرؤيا (١ : ١١) اساقفة سبع عواصم كبرى كان جعلها كمراكز لمدن أخرى اصغر منها يدبّر كل منهم اساقفتها . وكذلك بولس رسول الامم يعهد الى تلميذه تيطس (رسالة تيطس ١ : ٥) ان يرعى جزيرة كريت ويرتب الناقص ويقيم لها رعاة في كلّ مدينة . وكذا قل عن بقيّة الرسل الذين جعلوا على اساقفة كلّ قطر رؤساء تكون بين ايديهم ازمّة الامور لنظام ذلك القطر وسياسة مؤمنيه ورعاتهم معاً

فصارت بذلك كل كنيسة مركزيّة مع الكنائس المنشأة بجوارها كالولاية المدنيّة لها رئيس اكبر بمثابة واليها ولها احكامها الخاصّة وتصرّفاتها الآئلة لتدبيرها في شؤونها الروحيّة . وقد توفّرت هذه الولايات مع نموّ المؤمنين وهي كلّها مع كونها مستقلّة بالنسبة الى بعضها مرتبطة بالمركز الاعلى حيث رأس الكنيسة الاول وإمام احبارها الاعظم

امّا السبب الذي حدا بالرسل ان يجعلوا قصبات المدن كمراكز دينيّة فهو جليّ واضح وهو رغبتهم الملتهبة في ان ينشروا على جناح السرعة وبطريقة سهلة الايمان بالمسيح . فانّهم وجدوا هذه الحواضر كمنائر تسطع منها اشعّة النصرانيّة فيراها الجميع ويقبلون اليها ليستضيئوا بانوارها اللامعة ومنها تجري جداول الخلاص الى ضواحيها الواقعة تحت حكمها

*

على انّ بين الحواضر الكبرى التي شاع صيتها ابّان ظهور الدين المسيحيّ قد امتازت ثلاث مدن أجمع الكلّ على سيادتهنّ ورفعة شأنهنّ ألا وهنّ رومة العظمى قاعدة المملكة الرومانيّة . ثم الاسكندريّة سوق العالم المتمدّن ومخزن تجارته . ثمّ انطاكية عاصمة الشرق . فكان الشرك ضرب اطنابهُ في هذه المدن الثلاث واقام لآلهة الوثنيّة هياكل واصناماً ظنّ الناس ان سيبقى ملكها مخلّداً

ولمّا كان ملء سلطة المسيح في يد سمعان بطرس وهو مؤيد بروحهِ القدوس

احبُّ كالقائد المقدام والاسد الضرغام ان يصلي الوثنيَّة حربًا عوانًا حيث عشَّش شيطانها ويتزل حومة القتال حيث توفَّرت الاهوال فغشي الوغى وصدق العدوَّ الجهنَّمي الحملة في كلٍّ من هذه المدن الثلاث مباشرًا باطاكية فوطَّد فيها دعائم النصرانيَّة وبنى كنيسة الامم الأولى على اخربة الوثنيَّة. ثمَّ اقام على هذه الكنيسة احد تلامذته القديس إيوديوس وجرى الى حربٍ أُخرى عبوس كانت تنتظره في سيّدة المدن. فلم يفتأ ان اوقد نارها وجاهد كفَّارها وابلى البلاء الحسن في سبيل الحقّ حتى ظفر بالمرغوب وفاز بالمطلوب وثبَّت عرش سلطانهِ الروحي في أمّ المدن واتَّخذها سكنًا لهُ ولاخلافهِ من بعدهِ الى منتهى الدهور. ولم يبقَ بعد انطاكية ورومة الَّا الاسكندريَّة ليناجزها بطلُ الصفا القتال فينكس فيها أعلام الوثنيَّة. ولمَّا كانت الشواغل تمنعهُ في رومة ان تسمح لهُ ان يسير بنفسهِ الى تلك الحاضرة الكبرى ارسل اليها تلميذهُ مرقس فنال على يدهِ انتصارًا باهرًا لم تمكنهُ الاحوال من ان ينالهُ بذاته

فهذا الانتصار المثلَّث الذي اصابهُ بطرس بنفسهِ او باحد تلامذتهِ على ثلاث امَّهات العالم الرومانيّ كان السبب الداعي لأن تُجعل هذهِ المدن كراكز اوليَّة للسلطان الكنسيّ فادار الرسول الهامة كنيسة رومة بذاتهِ وجعل لكرسيّها بوحيٍ من الله السبق فوق كل كنائس المسكونة. ثم أعطى للاسكندريَّة ولانطاكية سلطةً دونَ سلطتهِ تتمثّل في عاصمة الشرق سلطتهُ السامية. وخلاصة القول انَّ الاسكندريَّة وانطاكية صارتا بعد رومة مركز السلطة الدينيَّة لانَّ بطرس هامة الرسل بشَّر فيهما بالانجيل ورآهما اعظم خطرها أنسب من غيرها ليكونا في جهات الشرق كقاعدتين تنضمُّ حولها بقيَّة الكنائس الشرقيَّة وتعتصم بركنيهما

- - وهذا الامتياز العظيم الذي صار للاسكندريَّة ولانطاكية بسبب بطرس الرسول يشهد عليه تاريخ الكنيسة القديم وربَّما اشار اليه الاحبار الرومانيُّون في رسالاتهم الى اصحاب هذين الكرسيين. فمن ذلك ما كتبهُ القديس اينوكنت الأوَّل سنة ٤٠٩ م الى اسكندر اسقف انطاكية حيث يذكرهُ بالبند السادس من قوانين مجمع نيقية الذي اثبت لاساقفة الاسكندريَّة وانطاكية امتيازاتهم القديمة (τὰ ἀρχαῖα ἔθη) ثم يضيف. الى ذلك: « فترى من هذا البند المذكور انَّ كرسيَّك لم ينل هذا الامتياز الفاخر لعظم شأن انطاكية بل الاحرى ان يقال انهُ فاز بهِ لانَّ انطاكية كانت الكرسيَّ الأوَّل

الذي جلس عليهِ هامة الرسل (١). وقال البابا القديس جيلاسيوس سنة ٤٩٤ في براءتهِ الشهيرة عن كتب الاسفار المقدَّسة القانونيَّة وهو يذكر الكراسي العظمى وفي مقدَّمتها كرسيّ رومة: «والكرسي الثاني هو كرسي الاسكندريَّة لانَّ مرقس تلميذ بطرس قدَّسهُ باسم سيّدهِ الهامة... والكرسيّ الثالث في انطاكية وهو كرسي شريف لانَّ بطرس الرسول جلس عليهِ قبل ان يأتي مدينة رومة (٢). وقد كرَّر القديس غريغوريوس الكبير مرارًا في رسائلهِ الى اولوغيوس اسقف الاسكندريَّة انَّ بين اسقف رومة واسقفي الاسكندريَّة وانطاكية اتحادًا وثيقًا لانَّ هذين المقامين قد عُني بانشائهما بطرس الرسول فزيَّنهما واعارهما شيئًا من سموّ رتبتهِ فصارت هذه الكنائس الثلاث كالحبل المثلَّث الذي لا ينقطع لها التقدُّم على جميع الكنائس (٣). وممَّا خصَّ بهِ كرسيّ الاسكندريَّة قولهُ (٤): «كما انهُ معلوم لدى الجميع انَّ القديس مرقس البشير ارسلهُ معلمهُ بطرس الرسول الى الاسكندريَّة هكذا قد جرى وفاق بين الكرسي

---

(١) هذا نصُّ الاصليّ بالحرف: « Unde advertimus non tam pro civitatis magnificentia hoc eidem attributum, quam quod *prima sedes primi Apostoli esse monstratur* ». Migne PP. LL., XX p. 548.

(٢) وهذا نصُّهُ عن مجموع الآباء اللاتينيين لين (ج ٥٩ ص ١٧٠): « Est ergo prima Petri apostoli sedes Romana Ecclesia, non habens maculam, neque rugam, neque aliquid hujusmodi. Secunda autem sedes apud Alexandriam, beati Petri nomine a Marco ejus discipulo . . . consecrata est . . . Tertia vero sedes apud Antiochiam item beatissimi Apostoli Petri habetur honorabilis, eo quod illic priusquam Romam venisset, habitavit ».

(٣) اعمال الاباء لين (ج ٧٧ ص ٢٩٩) وهذا نصُّهُ بحرفهِ الواحد:

« Ipse (apostolorum princeps) sublimavit sedem in qua etiam quiescere et præsentem vitam finire dignatus est. Ipse decoravit sedem in qua evangelistam discipulum misit. Ipse firmavit sedem in qua septem annis quasi discessurus sedit ».

(٤) راجع مجموع اعمال الاباء اللاتينيين لين (ج ٧٧ ص ٩٤٣) وهذا قولهُ بالحرف:

« Sicut omnibus liquet quod beatus evangelista Marcus a Sancto Petro apostolo magistro suo Alexandriam sit transmissus, sic hujus nos magistri et discipuli unitate constringimur ».

الاسكندري والروماني شأن الوفاق الذي يجري بين التلميذ ومعلمه »

ولو تتبّعنا تآليف الآباء لوجدنا كثيرًا من هذه الشهادات التي تبيّن انَّ كنيستي الاسكندريّة وانطاكية انّما خُصّتا بامتيازاتهما لاجل الرسول بطرس الذي شرّفهما بشخصه الكريم او بتلميذه مرقس. ومما يستلفت انظار المعتبرين انَّ هذه الشواهد قد وردت ايضًا على لسان الكتبة الذين انقطعوا عن طاعة كنيسة رومة كاليعاقبة والنساطرة والارمن وغيرهم وقد جمع قوم من الافاضل اقوالهم في كتب ضخمة نشروها بالطبع نخصّ منهم بالذكر السيّد اقليميس داود اسقف دمشق على السريان وغبطة السيّدين البطريركين اسطفان عازاريان وعبديشوع خياط. بل لنا في كتبة العرب على ذلك شواهد صادقة لا يشوبها ريب اثبتها المشرق في احد اعداده السابقة (السنة الخامسة ص ٢١٧—٢٢٤) فانَّ قومًا من المشاهير كالمسعودي وابن خلدون والمقريزي ينسبون تقدُّم كرسيّ الاسكندريّة وكرسيّ انطاكية على بقيّة الكراسيّ لانتمائهما الى بطرس رأس الحواريّين

*

فمما سبق يمكن ان نستنتج قضيّتين ثابتتين لا يستطيع احدٌ نقضهما الاولى انَّ الاسكندريّة وانطاكية أضحتا من اوَّل المراكز التي أُقيم فيهما كبار اساقفة لعظم شأنهما وخطارة قدرهما. وفي ذلك لم تختلفا عن بقيّة المدن الكبرى كقيساريّة فلسطين وقورنثوس وقرطجنّة التي اتّخذها الرسل وخلفاؤهم كمراكز للدوائر الدينيّة في سائر الاقطار لولا انهما كانتا اوسع نطاقًا وارفع مقامًا. والثانية انَّ هاتين العاصمتين امتازتا بشرف لم يصبهُ غيرهما من الحواضر وهو انَّ كرسيّهما انشأه بطرس الصفا نائب المسيح فقاسما كرسيّ رومة في شيء من علوّ مقامه

وكأنّي بالقارئ يتصدّى لي هنا فيقول أحسنتَ ببيان اصل الكرسيّين الاسكندري والانطاكيّ وتعريف عظم منزلتهما ولكن طاش سهمك حيث زعمت انَّ هذين الكرسيّين هما كرسيًّا رؤساء اساقفة والكلّ يعلمون انهما كرسيَّان بطريركيَّان. والبطريرك فوق رئيس الاساقفة كما لا يخفى

أُجيب انَّ اسم البطريرك لم يشع في قرون النصرانيّة الاولى للدلالة على رتبة كنسيّة. وانّما ورد في ترجمة الكتب المقدّسة اليونانيّة المعروفة بالسبعينيّة دلالةً على ابناء يعقوب

الاثني عشر اي رؤساء الاسباط الذين يُدعون زعماء القبائل (πατριῶν ἄρχοντες) ثم اطلقهُ اليونان على كبير الأُسَر العائلي الذي تنتسب اليهِ فروع العيال. واستُعمل مجازًا للدلالة على الشيوخ والسادة

ولمَّا ظهرت النصرانيَّة بقيت لفظة البطريرك او البطرك على هذه المعاني كلّها (١ ولم تدلَّ على رتبةٍ ممتازة في الكنيسة. وامَّا ورد اسم البطريرك بمعنى كبير الاساقفة وصاحب الكرسيّ العظيم لاوَّل مرَّةٍ في اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ على لسان الآباء في ادعيتهم للبابا لاون الكبير فانَّهم كرَّروا الدعاء قائلين: «ليحيَ لاون البطريرك زمنًا مديدًا» وفي عنوان العريضة التي قدَّمتها اساقفة الكنيسة الاسكندريَّة وشمامستها الى المجمع المذكور ما تعريبهُ: «عريضة مقدَّمة الى لاون الكلّيّ الطوبى والقداسة والى عظيم الاساقفة المسكونيّ وبطريرك مدينة رومة العظمى»

فاخذ اسم البطريرك مذ ذاك الحين يُطلق شيئًا فشيئًا على اصحاب الكراسيّ الرسوليَّة الاولى كالاسكندريَّة وانطاكية واورشليم بل على غيرها ايضًا مثل كرسيّ القسطنطينيَّة لما فازت بهِ هذه الكنائس من النفوذ والتقدُّم والنجاح كما سترى

وان سألنا السائل: وايّ اسم كان في الاوَّل شائعًا بين المؤمنين للدلالة على اصحاب تلك الكراسيّ الكبرى. قلنا انهُ في القرون الثلاثة الاولى لم يُعرفوا باسم خصوصيّ. وامَّا يدعوهم البعض باسم «الاساقفة الاوَّلين» (ἐπίσκοποι πρῶτοι) والبعض يسمُّونهم «رؤوسًا» (κεφαλαί) كما ورد في كتاب قوانين الرسل الذي يرتقي الى القرن الثالث. وقد اطلق عليهم مجمع قرطجنَّة الثالث اسم «اساقفة الكراسيّ الاولى» او «اساقفة المراكز الكبرى» وكان اهل افريقية يعرفونهم باسم «الشيوخ»

امَّا اسم «المتروبوليت» (μητροπολίτης) وهو «المطران» فانهُ ورد لاوَّل مرَّةٍ في اعمال المجمع النيقاوي ومعناهُ «رئيس امّ المدن» وشاع هذا الاسم وامتدَّ. ولم يكن اختلاف يُذكر في السلطة بين مطران ومطران الَّا ان بعض المطارنة لعظم شأن الحواضر التي كانوا يسكنون فيها وخصوصًا لاجل انتساب كنائسهم الى الرسل كانوا متقلّدين

١) وردت لفظة البطريرك في الخطبة ٢٠ للقديس غريغوريوس الثاولوغس وفي اعمال القديس غريغوريوس النيصصي حيث شبَّه كلاهما الاساقفة اجمالًا برؤوس الاسباط

سلطاناً اعظم من غيرهم كما بيّنا سابقاً

ثم شاع في القرن الخامس اسم «رئيس الاساقفة» او «ارخيفسقوس» (ἀρχιεπίσκοπος) واستُعمل بمعنى المتروبوليت والمطران

ومن الاسماء التي وردت في اواخر القرن الرابع اسم الاكسرخس (Ἔξαρχος) ومعناهُ القائد والزعيم وأُطلق ايضاً على اصحاب الكراسيّ العظمى كالمتروبوليت ورئيس الاساقفة

ثم جعل الكتبة يفرزون شيئاً فشيئاً بين هذه الرُّتب كلها فاختصّوا الحبر الرومانيّ باسم البابا ومعناهُ ابو الآباء . ثم دعوا بطريركاً صاحبي كرسي الاسكندريّة وانطاكية لانهما ينتميان الى بطرس ولخطارة مقامهما المدنيّة . وأُطلق من بعدهِ على صاحب كرسي القدس الشريف لمآثر النصرانية في اورشليم وانتسابها الى الرسل . ثم أُجري هذا الاسم على صاحب كرسيّ القسطنطينيّة بعد ان صارت مركز المملكة الرومانيّة وان لم يكن هذا الكرسي من الكراسي الرسوليّة

وجعلوا رتبة الاكسرخس فوق رتبة المتروبوليت . واعتبروا رئيس الاساقفة والمتروبوليت في درجة واحدة

هذه نبذة اولى روينا فيها ما يختصّ باصل المقام البطريركي وقدم اسمهِ . وفي مقالة اخرى ان شاء الله نلخص تأريخ انشاء البطريركيّات وتعدُّدها مع بيان حقوق البطاركة وامتيازاتهم التي منحتهم ايّاها الكنيسة (ستأتي البقية)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣ ما تستفيد سوريّة من لبنان

بعد تعريفنا لِلُبنان وتطبيق اسمهِ مع اقوال المؤرخين لا نرى بدًّا من استلفات النظر الى فوائد هذا الجبل من حيث طودهِ الطبيعي

على أننا قد اشرنا الى هذا الامر في مقالاتنا السابقة (المشرق ٢: ١٠٢٦) واثبتنا انَّ لبنان بالنسبة الى سوريَّة كالنيل بنسبته الى مصر اذ انهُ كحوض عظيم تتفجَّر منهُ المياه التي تسقي النواحي المجاورة أمَّا على هيئة الامطار وامَّا بطريقة المجاري المائيَّة او بتكاثف الابخرة وسقوطها على صورة الندى. ولولا هذا الجبل لاضحت سوريَّة اشبه ببادية جرداء او رملة صلعاء تابعة لمفاوز جزيرة العرب التي هي متَّصلة بها من جهتها الجنوبيَّة الشرقيَّة

وممَّا سبق لنا ايضًا في وصف لبنان أنَّا قابلنا بين هذا الجبل المنيف وجبل الالب (المشرق ١: ٧٢١) فبيَّنا ما خصَّ بهِ الله الطود السوريَّ من المناظر الجميلة والمرافق العديدة فترى فيهِ الرُّبى المكلَّلة بالنابات والغياض الزاهية بضروب الاشجار والنبات والاودية العلية النسيم ذات الظل الظليل مع جداول مترقرقة وسيول جاحفة وشلَّالات مزبدة وبحيرات كالمرايا الصقيلة الى غير ذلك من المحاسن الطبيعيَّة التي زيَّن بها الخالق تلك المشارف الزهيَّة التي اطنب الانبياء في اوصافها وعدَّدوا في الاسفار الكريمة معانيها والطافها

على انَّ لبنان يورث سوريَّة غير هذه المنافع ممَّا يستلفت نظر ذوي العبرة. ولو تحرَّينا تعدادها لكتبنا فصلًا رائقًا جديرًا بان يُنظَم في سلك فلسفة الجغرافيَّة من شأنهِ ان يوسّع نطاق اهل الرويَّة ويبيّن لهم عجائب الكون

وهذه الفوائد الجمَّة التي تستفيدها سوريَّة من لبنان على اربعة اصناف منها هدروغرافيَّة وجيولوجيَّة ومنها نباتيَّة ومنها جويَّة ومنها ما يرجع الى الامزجة والاجسام

*

١ لا حاجة ان نسترسل في الكلام عمَّا يجدي لبنانُ القطر السوريَّ من المنافع الهدروغرافيَّة اذ أنَّنا وصفنا سابقًا ما يختص بمجاري المياه في لبنان (المشرق ٢: ١٠٢٦) وغاية ما نقولهُ هنا أنَّنا لم نُغالِ في وصفنا المذكور وكفانا لتأييد مقالنا ان اكبر انهار سوريَّة وهو العاصي ينبجس من لبنان فيجري الى شمالي سورية ويخصب نواحيهُ. وذلك ما حمل القدماء على انشاء مدن عظيمة في تلك الجهات كحمص وحماة وانطاكية ولولا هذا النهر لاصبح وادي العاصي قفرًا مقفرًا لا يأوي اليهِ سوى

قوم من عرب البادية . وهو به جنّة غنّاء يتقلّب فيها الوف وربوات من البشر في خصب دائم وعيش رفيه

وما قلناهُ عن وادي العاصي يصح ايضاً في سهل البقاع وفي ساحل البحر من طرابلس الى صور فان هذه البطائح معروفة اليوم بوفرة خيراتها وريع مآتيها ونضارة حدائقها وإن ذلك الّا من فضل لبنان الذي يرسل اليها مياه ينابيعهِ النميرة مع تربتهِ التي تنحدر مع السيول وترسب في قاع الارض فتُخصبها وتسمّنها

ونزيد على ذلك انّ التربة التي جرفتها المياه من مشارف لبنان هي التي صارت اليوم بطحاء فسيحة الارجاء زاهية الزروع تمتدّ من طرابلس الى مصبّ النهر الكبير ولولا انّ مجاري المياه تسحو هذا الطين اللزج من معاطف الجبل لكان هذا السهل جوناً تغمرهُ مياه البحر كما ترى في جهات اخرى . لانهُ من النواميس الثابتة تمام الموازاة والمقابلة بين السلسلة اللبنانية والشواطئ البحريّة اي انّ لبنان كلّما امتدّ نحو البحر كان رأساً داخلاً في المياه واذا انحدر استبطنتهُ المياه فصارت في بطنهِ خليجاً . امّا هذه نواحي طرابلس فانّ انهار لبنان وجبل عكار كابي علي والنهر البارد ونهر عكّار وعلى الاخصّ النهر الكبير انحدرت اليها وملأَت بالتربة التي سفتها الجونَ الذي كان هناك وهو يُعرف حتى اليوم بجون عكّار دلالةً على اصلهِ لكنهُ في الوقت الحاضر خبت منفسح ذو نعومةٍ وخصب

٢ وليس لبنان اقلّ فائدة من حيث الملك النباتيّ . فان ارباب الطبيعة يقضون العجب من سوريّة لما فيها من اصناف النبات وضروب الاشجار . فانّها تجمع بين نبات الاصقاع الشماليّة ونبات الاقاليم المفرطة الحرارة في اواسط افريقية . والنباتيّ اذا تفرّغ لبنان وجد في اعاليهِ اعشاب الصرود التي لا تُرى الّا في شمالي اوربّة وقمم الالب . امّا حشائش البلاد الحارّة فهي نامية في سفح لبنان عند وطإ بحيرة الحولة وهناك من نبات البرديّ الذي لا يُرى اليوم الّا في اواسط افريقية عند البلاد المجاورة لينابيع النيل . والى لبنان يعود الفضل من هذا القبيل لما يوجد من الاختلاف بين برد رأسهِ الحلّق في العنان المعتمّ بالثلوج وحرارة حضيضهِ البارز لانوار الشمس واشعّتها الحامية فيسوغ للنباتي في سوريّة ان يجمع في بضع ساعات من اشكال الاعشاب ما لا يجدهُ في غيرها الّا بعد مشقّة النفس والعناء الطويل

وهذا التباين العظيم بين نبات بلاد مختلفة لا يروق فقط عين الناظر اذ يرى الاشجار الجبليّة كالسنديان والارز والاشجار الصحراويّة كالنخل والبردي لكنهُ ايضاً يجدي الزارع نفعاً حيث يمكنهُ ان يستغني عن كثيرٍ من محصولات البلاد الأجنبيّة. كيف لا وهو يجد في وطنه تربةً ملائمة لاصناف المزروعات والاشجار المثمرة وضروب الاخشاب وفي كلّ ذلك ايرادات طيّبة توفّر اسباب الغنى وتفتح ابواب الرزق لطالبيهِ. فيا ليت شعري كيف يسوغ لنا ان نتشكّى من فقر بلادنا وقحطها وفيها كل ما يلزم ليغني شعوباً جمّة. ولو شاء اصحاب الثروة لرأوا انّ هذه البلاد يدرّ منها اللبن والعسل كما في ايّام بني اسرائيل لا ينقصها لذلك الّا رجال جدّ واقدام ممّن لا يستكفون من العمل ولا تثني عزائمهم المصاعب. فلا يمرّ على بلادنا ثلاثون سنة حتى يصير لبنان اغنى من بلاد نروج بغاباته وتمسي السهول الساحليّة اشبه ببطائح الهند وخطّ الاستواء.

٣ وان انتقلنا الآن من ذكر النبات الى وصف الهواء. إذن لوجدنا انّ حظّ اهل سوريّة لأسعد من سواهم لوقوع لبنان وسط بلادهم. وذلك ممّا لحظهُ الكاتب الشهير ڤولناي (Volney) في اواخر القرن الثامن عشر قال: «انّ بلاد الشام تجمع تحت سماء واحدة احوالاً جويّة مختلفة وتذخر في اقطار ضيّقة الارجاء ملذّاتٍ لا تُرى في غيرها من البلاد الّا متفرقةً على مسافات قاصية. ففي غيرها من الاصقاع ترى فصول السنة تفصلها الشهور واماّ سوريّة فيصدق القول فيها انّ فصول سنتها لا تقسم بينها الّا بضع ساعات فقط. فان اثقلك توقّد الحرّ في صيداء او طرابلس ايّام القيظ فما لك الّا ان تمشي نحو ستّ ساعات فتجد في الجبال المجاورة هواء لطيفاً كهواء شهر اذار (١)»

فهذا الاختلاف في درجات حرارة الجوّ الذي تغبطنا بسببهِ البلاد المجاورة للشام كبلاد الجزيرة ومصر انّما اصابهُ القطر الشامي بواسطة لبنان ليس بامتداد عرضهِ الذي يبلغ نحو تسع درجات. ولا لاجل طولهِ البالغ ١١٠٠ كيلومتر بل لاجل ارتفاعهِ فوق سطح البحر. ولولا علوّ جبالهِ لما كان فرقٌ يُذكر بين شمالي سوريّة وجنوبها فانّنا نرى انّ حالة الجوّ في غزّة لا تختلف كثيراً عن حالتهِ في الاسكندرونة وانّ الحرّ في دمشق كما هو في حلب. لكنّ الفرق العظيم انّما هو بين السواحل ومشارف لبنان بحيث نجد في الجرد لطف هواء الاصقاع الشماليّة

١) راجع رحلتهُ الى مصر وسوريّة (ج ١ ص ٢٨١)

وممّا يساعد ايضاً على تكييف الجوّ وتلطيف لهوات الحرّ هيئاتُ تركيب لبنان المختلفة واوديتهُ ووجهة تقاطيعهِ فان الارواح بهبوبها في بطون الارض وشجونها تغيّر احوال الهواء كما تؤثر في السُّحب والامطار التي تحملها الرياح. وترى بخلاف ذلك بعض مُنعطفات لبنان لحسن موقعها مصونةً من رياح الجنوب والشمال تنحدر الى البحر انحدارًا ليّنًا وهي امكنةٌ تهنأ فيها العيشة للطف نسيمها وتشبه جنوبيّ فرنسة برطوبة هوائها

ولا عجب اذا لبنان اضحى بعد زمن قليل كمستشفى الاعلاء يتقاطرون اليه لعلاج ادوائهم كما يهرع اليهِ المصيفون لينجوا فيهِ من وقدات القيظ ويستبدلوا روائح المدن المستكرهة بالريح الطيّبة. امّا الشتاء فيجد ذوو العاهات امكنةً في لحف لبنان يدفعون فيها بردهُ القارس ويقضون فصلهُ في مأمن من اذاهُ اذ يحميها لبنان من نفح الرياح وشدَّة العواصف وهي تقوم لاهل بلادنا مقام مدينتي «نيس» و«كان» وسواحل فرنسة الجنوبيَّة التي يزدحم فيها شتاء الاوربيُّون والاميركيُّون فرارًا من صبارَّة القرّ. فيا ليت شعري أليس خور جونية وما يُحدق بهِ من المزارع مقامًا شتويًّا يضاهي خَوْرَ نابولي. ألا ترى كيف ان رهفهُ العجيب بارز لاشعَّة الشمس ولصفاء هواء البحر المُنعش وهو مع ذلك في حمىً من السموم والريح الشماليَّة. فلو شاء اصحاب الامر لجعلوا جونية محطًّا لذي الامزجة النحيفة ومنزلًا للناقهين. وهذه البلدة تفضل من وجوه عديدة وادي النيل وضفّتيهِ حيث المناظر قليلة والهواء يتقلّب تقلّبًا كبيرًا ففي النهار المتوهّج الحرّ زمهريرُ الليل وصردهُ. امّا في مواطئ لبنان فترى للآفاق محاسن متجدّدة من جبال شاهقة وبحار زاخرة وهواء رطبٍ قليل الاختلاف. وهي لعمري منافع كبرى لا تخفى طويلًا على ذوي الخبرة

ولعلَّ منتقدًا يعترض علينا بقولهِ انَّ منعطف لبنان الغربيّ كثير الرطوبة لتكاثف الابخرة المتصاعدة من البحر في جوانبهِ. والرطوبة كما هو معلوم لا توافق مزاج كثيرين من الناس الذين يؤثرون على المقامات الرطبة الهواء المنازلَ اليابسة

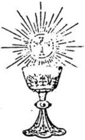
أجل ولكن لا يخلو لبنان من منافع المراكز اليابسة ايضًا وذلك في منعطفهِ الشرقيّ فاذا تسنَّمت اعالي هذا الجبل لا تلبث ان تبلغ بعد ساعات قلائل الى نواحٍ جافّة الهواء لا يشوب سماءها غيمٌ ولا يقرب منها ندى البحر لتوسّط لبنان بينها و بينهُ

فانَّ لبنان يقسم بلاد الشام من حيث الهواء قسمين مختلفين احدهما ساحليّ نديّ الجوّ ليّن النسيم معتدل الهواء دون حرّ محتدم ولا برد شديد. والآخر شرقيّ بريّ تختلف فيه الانواء وتتوالى الفصول المتباينة وهو يجدي بعض الامزجة قوَّة وصلابةً. وعلى كل حال مهما افتى الناس في تفضيل الهواء اليابس او الرطب فان العناية الصمدانيَّة لم تحرم لبناننا من خواصّ الهوائين فيختار كلٌّ منهما ما يشاء.

٤ ولهذا الاختلاف في احوال الهواء نفعٌ آخر وهو تأثيرهُ في بنية الجسم وغنيٌّ عن البيان انَّ طريقة العيش في زماننا وكثرة الالتباك بالاشغال ومداولة الامور والتهافت الى رشف إناء الملذّات كلُّ ذلك ممَّا يضعف بنية الناس ويفقر الدم ويحطّ بالنسل. وهذه المضرَّات في الاقطار الحارَّة الكثيرة الرطوبة كما ترى في مدننا الساحليَّة اوفرُ منها في سواها من البلاد لازدحام الناس في البيوت الضيّقة ولتراكم الاقذار في الاسواق وقلَّة تغيير الهواء.. فاذا بقي اهل المدن على ذلك زمناً قليلاً فسد لا محالة دمهم ونضب ماء حياتهم لولا انَّ اهل لبنان يهاجرون الى السواحل فيأتون بدمٍ جديد يسري في عروق الجمهور فينعش اجسامهم ويشدّد قواهم. وكما انَّ هؤلاء القادمين من مشارف لبنان يؤتون اهل الحضر دماً جديداً كذلك الاهلون اذا ما قضوا شهوراً من سنتهم في فصل الصيف فوق ربى لبنان تجدَّدت عزائمهم وتقوَّت أعصابهم فيعودون الى ديارهم وثيقي الاركان مضبوري الخلق تتدفَّق منهم مناهل الحياة

هذه بعض ملاحظات ابديناها لنفيد مواطنينا عن فوائد لبنان من حيث مقامه الطبيعيّ. فلا ريب انهُ لو فُقد لتلفت ايضاً معهُ اكثر ارفاق بلادنا وقفرت المواطن واصبحت التربة عقيمةً خاويةً لا تأتي بغلاَّتها فكانت اشبه بفيافٍ جرداء لا يُرى فيها سوى بعض تلال من الرمل خلوة من النبات لا ماء يجري فيها ولا انهار ترويها يسكنها قوم من صعاليك البادية يتنقَّلون فيها لطلب كلأ الربيع ثمَّ يرحلون عنها. وبوجيز القول انَّ بلاد الشام لولا لبنان كانت كالبوادي التي تجاورها من جزيرة العرب ونواحي تدمر واقفار ما بين النهرين في جنوبيّ حرَّان ونصيبين

(ستأتي البقيَّة)



نبذة تاريخية في عيد القربان الطاهر

بقلم الاخ يوسف كليس احد معلمي مدرسة الايتام في بيت لحم

لما كانت مجلة المشرق الغرّاء تُتحف قرّاءها في كل عدد بما يحلو لذوي الذوق السليم رأيت ان اهديهم هذه النبذة لعلّها تحظى في اعين مُطالعيها بالقبول نظرًا لما هي عليهِ من جليل الموضوع واهمية معرفته لدى الخاصّة والعامّة وهي تنطوي على بحثٍ تاريخيّ لتلك الحفلة الشائقة التي تستدعي العالم المؤمن كلّ عام الى تقديم العبادة بنوع اخص للقربان المقدس نهار الخميس الواقع بعد الاسبوع الاوّل من عيد العنصرة مُستندًا بما توخّيتهُ على اقوال المؤرّخين الجديرة بالتصديق وعلى شهادات الآباء القديسين الذين لم يألوا جهدًا عن الإفاضة في هذا الموضوع. فاقول وبالله التوفيق

١ً قدميَّة هذا العيد

ان عبادة القربان المقدس هي غاية في القدم باشر بها المؤمنون مُذ رسم السيّد المخلّص لهُ المجد هذا السرّ وذلك امرٌ لا مُشاغبةَ فيهِ نظرًا لوضوحهِ ومحافظة الكنيسة عليهِ حسب ما تسلمتهُ من المخلص ومن رُسله الاطهار تدوينًا وتقليدًا وعلمًا وعملًا كما يتضح من قولهِ تعالى: (لوقا ١٩:٢٢) « اصنعوا هذا لذكري » ومن اعمال الرسل حيث يقول القديس لوقا (اعمال ٢٠:٧):« وفي اول الاسبوع لما اجتمعنا نكسر الخبز». وجاء في هذا السفر ايضًا (٢:٤٢):« ان المؤمنين كانوا مواظبين على تعاليم الرُسل

والشركة في كسر الخبز والصلوات ». وقد اشار الى ذلك رسول الأمم في مواضع جمّة منها قولهُ (١ كورنتس ١١: ٢٦): « كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي ». واما التقليد فبيّن ايضاً لان كتب الآباء في القرون الأولى مشحونة منهُ حتى انك لا تكاد ترى مؤلفاً في هذا الشأن خلت صفحاتهُ من الاسهاب الشافي فيهِ ونكتفي هنا بايراد قول الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر المجتمعين في نيقية : « يجب ان نعتقد ان في المائدة المقدسة حمل الله الذي حمل خطايا العالم مذبوحاً من الكهنة ذبيحة غير دموية ». وقول اغوسطينس في الفصل العشرين من الكتاب السابع في مدينة الله : « ان التقدمة التي يقربها الكاهن في العهد الجديد هي جسد الرب ودمهِ لان هذه الذبيحة نسخت جميع الضحايا التي كانت تُقرّب في العهد القديم »

واما العلم والعمل فظاهر ايضاً لان الكنيسة المقدسة مذ اجيالها الأولى الى يومنا هذا دائبة في المحافظة على هذه العبادة طبقاً لما تسلَّمتهُ علماً وعملاً من ايدي الرُسل الاطهار . ويشهد على هذا الاستعمال الجاري على اختلاف انواعهِ عند جميع الطوائف الكاثوليكيَّة وغير الكاثوليكيَّة ايضاً . بيد انَّ العيد السابق الذي كانت تحتفل فيهِ الكنيسة سنويًا اكراماً لهذا السرّ العظيم واضراماً لمحبة قلوب المؤمنين نحوهُ لم يكن ليتخطَّى قبل الجيل الثالث عشر النهارَ الذي رُسم فيهِ اي يوم خميس الاسرار احد ايام الاسبوع العظيم كما هو شائع عند سائر الملل المسيحيَّة

٣ً الاسباب الداعية لنقل العيد واثباته بامر الاحبار الاعظمين

سمح ربُّ المجد بضَهْد الكنيسة وأَنبأَ بظهور الارطقات بيد انهُ قد وعدها بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها لكونه هو بنفسهِ مقيماً فيها كل الأيام وحتى منتهى الدهر . ولذا فانت ترى ان لا حقيقة في الكنيسة الَّا وناصبا الاراطقة ردحاً من الدهر مصوّبين نحوها سهام الكفر والقدح بها . على انَّ الكنيسة لم تكن لتخرج من معمعة كل جهاد الَّا ويدها قابضة على علَم الغلَبة والظفَر

قام برانجر (١ في اواسط القرن الحادي عشر منكرًا وجود جسد المسيح حقيقةً

١) نشأ برانجر (Bérenger) في مدينة طور (Tours) وفيها تلقّى العلوم الابتدائية . ثم

في القربان المقدَّس وهبَّ من بعده الألبيجيُّون (١ في القرن الثاني والثالث عشر فنفثوا بين الملإ سمَّ اضاليلهم في حقيقة هذا السرّ حتى كادت تستولي بها اكثر الاصقاع الاوروبيَّة لولم تتعقّبهم الكنيسة وتستأصل شأفة تعاليمهم الفاسدة. فعندها توفّرت افراح المؤمنين بهذه النصرة وشرعوا يحتفلون لعيد القربان المقدَّس بأبَّهة وجلال اعظمين

وفي اوائل القرن الثالث عشر أوحي الى راهبة فاضلة وَرِعة تدعى جوليانا (Julienne) من قرية رتيانا (Rétienne) في ارباض لياج (Liège) من اعمال بلجكة بان تسعى عند الرؤساء الروحيين في تخصيص يوم آخر في السنة عدا الجاري تعييده في الكنيسة مذ نشأتها ليتهيّأ للمؤمنين فيهِ تكريم جسد ودم مخلصنا الاطهرين تكريمًا اسنى وابهى ممَّا كان جاريًا في الكنيسة حتى ذاك العهد. فاخذت هذه الطوباويَّة وقتئذٍ تسعى في إتمام مشيئتهِ تعالى فأعلنت الامر اولًا الى الاب يوحنا لوسان (Jean de Lausanne) قانوني كنيسة القديس مرتينوس في لياج. وهذا بثَّهُ الى يعقوب بانطليون (Jacques Pantaléon) رئيس الشمامسة وغيره من الاشخاص الذين اشتهروا بالفضل والفضيلة. فاستصوب الجميع ذلك وحاز عندهم غاية القبول غير ان نتيجتهُ لم تبرز حالًا من القوَّة الى الفعل لما حال دون اماني جوليانا من المعاكسات كما يتصدَّى اعتياديًّا لمثل هذه العظائم في الكنيسة. الّا انهُ بعد مضيّ عشرين سنة اذن الله بانجاز ارادتهِ تلك بواسطة روبرتوس توروت (Robert de Torote) احد افاضل

سافر الى شارتر (Chartres) وبعد ان اتمَّ فيها دروسه عاد الى طور فاقيم استاذا في مدرسة القديس مرتينوس. ثم يمَّم انجر (Angers) حيث رقّاه أُسقفها اوسابيوس برونوني الى درجة رئيس شمامسة وفيها نفث سمَّ اضاليله ضدّ حقائق الايمان: منها نكرانهُ وجود جسد المسيح حقيقةً في القربان الطاهر. وقد حرمت الكنيسة اضاليلهُ كلها بمجامع خمسة او ستَّة والرأي الاعمّ انهُ تاب اخيرًا عن كفره ومات في شركة الكنيسة

١) الالبيجيُّون (Albigeois) هم اراطقة مانويّون مع بعض اختلاف وتبدّل قد اتسموا بهذا الاسم نسبةً الى مقاطعتي البي وتولوز حيث بذروا زؤان اضاليلهم وكان اكثر هؤلاء من سكَّان لانقدوك السُفلى (Languedoc) الذين كانوا يتسمَّون قبلًا باسم ألبيجيين وقد حرمتهم الكنيسة في مجمع خصوصي في لومباز (Lombez) سنة ١١٧٦ وفي المجمع اللاتراني الثالث المسكوني سنة ١١٧٩

اساقفة لياج. فهذا بعد ان تحقّق في الامر وفحص عن رغبة جوليانا الصالحة فكّر في صوابيّة إقامة احتفال شائق لهذا العيد في يوم آخر ليتيسّر للمؤمنين احتفاله بالافراح الكاملة والزِيَن البهجة لان في خميس العهد تكون الكنيسة حادَّة على آلام المخلص وموته

ولمَّا كانت سنة ١٢٤٦ امر ان يحتفل بهِ في الخميس الثاني الواقع بعد عيد العنصرة وذلك في جميع انحاء ابرشيّته وهكذا كانت تلك الابرشيَّة هي البادئة اوّلًا باحتفال هذا العيد السعيد ومنها استطارت شرارة حبّ هذه العبادة الاحتفاليَّة الى كثيرين من أولي الورَع والتقوى في ابرشيَّات مختلفة الذين رغبوا الى الاكليروس والاساقفة وبواسطتهم الى حكم الكنيسة المقدَّسة في تعميم الحفاوة بهذا العيد في العالم الكاثوليكي اجمع. وفي ٨ ايلول سنة ١٢٦٤ اعلن الحبر الاعظم أوربانوس الرابع الجالس حينئذٍ على كرسي بطرس رسالةً بعث بها الى جميع انحاء المعمور يحرّض بها المؤمنين كافَّة على الاحتفال بهذا العيد احتفالًا شائقًا في الاجل المذكور واومأ الى القديس توما الاكويني المعلم الملائكي الذي كان وقتئذٍ استاذًا في مدينة اورفيات (Orvietto) ان يؤلف لذلك رتبةً خصوصيَّةً ففعل وهي تُعَدُّ اليوم آيةً في بابها

وقد اضرمت نيران هذه العبادة قلوب الاحبار الاعظمين فاقبلوا على اعلاء شأنها وتوسيع نطاقها فامر الحبر الروماني اكلمنضوس الخامس في مجمع ڤيانة ان يُعمل بموجب رسالة اوربانس الرابع المذكورة مُحرّضًا الجميع على المباراة في تكريم ذاك العيد تكريمًا فائقًا. وحتم خليفته البابا يوحنا الثاني والعشرون بان يُجعل هذا العيد من الاعياد الممتازة في الكنيسة فاوجب تلاوة فرضهِ ورتبتهِ مدَّة الثمانية الأيام التابعة لهُ على ما هو جارٍ الآن في الكنيسة اللاتينيَّة وان يُطاف بالقربان الطاهر في الشوارع. والبابا مرتينوس الخامس قد زاد تلك الحفلة رونقًا فاوجب ان تقرع الاجراس وتُنشد الاغاني الروحيَّة بالالحان الشجيَّة لدن الطواف بهِ كما يُصنع بالاعياد العظيمة. وفي سنة ١٤٣٣ اصدر البابا اوجانوس الرابع براءة اثبت فيها ما امر بهِ خلفاؤهُ بخصوص ذلك ومنح غفارين عديدة وعظّم الحفلة اكثر تعظيمًا اذ امر جميع اساقفة العالم الكاثوليكي ان يغرسوا في قلوب رعاياهم هذه العبادة التي شدَّدت ازرها المعجزات الباهرة الصادرة عن هذا السرّ العجيب وقد

اسعدني الحظ بان اظلّني هذا العيد سنوات متوالية في الديار الفلسطينيّة فشهدتهُ في اورشليم وارباضها وخصوصاً في بيت لحم حيث يجري كل عام احتفال نادر المثال في اليتيم الكاثوليكي لحضرة المفضال الاب بلّوني حيث ترى الوفا من المؤمنين يرتّلون الاناشيد في اللغتين اللاتينيّة والعربيّة آن الطواف بالقربان الطاهر في شوارع هذه البلدة مما يخفق لهُ كل قلب مسيحي بحركة حبٍ صميم وايمان صادق ثابت لان مؤلف هذه الاناشيد هو القديس توما صاحب رتبة عيد القربان وقد أفرغ قصارى جُهَيداه في ان يكون عملهُ هذا آيلًا لإضرام جذوة المحبة في فؤاد المؤمنين وقد نقل منها الى العربيّة السيد السعيد الذكر البطريرك يوسف اسطفان المديح الذي بدؤه « يا لسان المدح » (Pange lingua). ومنهُ جزء يُرتّل في الكنائس اللاتينيّة كل مرّة تُعطى البركة بالقربان الطاهر وبدؤهُ « فلنوقّر سرّ حبّ » (Tantum ergo) فيا لها من معانٍ بديعة تسترقّ العقول وتقتادها صاغرةً لارادة الله العجيبة

٣ في الغفارين الممنوحة لهذا العيد

ما تبلّجت انوار هذا العيد في الكنيسة الّا وقد اقبل الاحبار الاعظمون على خزانة استحقاقات مخلّصنا فافاضوا على المؤمنين سجال النعم الروحيّة لرحض ذنوبهم. منهم البابا أوربانوس الرابع فانهُ قد منح عدَّة غفارين لكل من حضر باصناء وعبادة تلاوة الفرض الالهي المختصّ بذلك العيد سواء حضرهُ بكليّته ام باقسامهِ. والبابا مرتينوس الخامس قد منح ببراءة اصدرها سنة ١٤٢٩ غفران مئتي يوم لكلّ صلاة سحر ومثلها للقداس الطاهر وماية يوم لصلاة الغروب وخمسين لكل من الساعات القانونية. وقد ضعّف البابا اوجانوس الرابع ما منحهُ البابا مرتينوس الخامس ببراءة رسوليّة اصدرها في ٢٦ أيّار سنة ١٤٣٣ فعلّق اربعمائة يوم غفرانًا لكل سحر ومثل ذلك للقداس ولصلوات الغروب الاولى والثانية ومائة وستين لكل من الساعات. وقد منح ايضًا غفران مئتي يوم لكل من حضر الطواف الاحتفالي بالقربان. ويمكن ان تقدّم هذه الغفرانات جميعها إسعافًا للانفس المطهريّة حسب براءة بنديكتوس الرابع عشر الصادرة في ١٣ ايلول سنة ١٧٤٩

٤ · المكان الذي تمَّ فيهِ هذا السرّ

ينبئنا التقليد وشهادات العلماء الباحثين المحقّقين ان العليَّة الصهيونيَّة هي الموضع الذي تمَّ فيهِ هذا السرّ العظيم وهو نفس المحلّ المعروف اليوم «بالنبي داود» وهو من اورشليم في الجهة الشرقيَّة وقديمًا كان يُعرف بكنيسة الاسرار وكنيسة الرُسل لان الرُسل القديسين هم اوَّل من قبل فيها الاسرار الالهيَّة وفيها مارسوها لاوَّل مرَّة بعد ان حلّ عليهم فيها الروح القُدُس. وقد ارتأى في القرن الرابع القديس قليبانوس(١ البابا والقديس قبريانوس وغيرهما من العلماء ان في هذا الموضع عينه علَّم السيّد المسيح رُسلهُ منح السرّ التثبيت وهي الكنيسة الاولى نشأت في العالم ولذلك قد دعاها القديس يعقوب اخو الربّ في ليتورجيتهِ أُم سائر الكنائس . قال وهذا نصهُ :

ܡܩܪ̈ܒܝܢܢ ܠܟ ܡܪܝܐ ܕܒܚܬܐ ܗܕܐ ܕܕܚܠܬܐ ܘܠܐ ܕܡܐ ܚܠܦ ܐܬܪ̈ܘܬܐ ܩ̈ܕܝܫܬܐ ܗܠܝܢ ܕܫܒܚܬ ܒܓܠܝܢܐ ܕܡܫܝܚܟ ܘܝܬܝܪܐܝܬ ܚܠܦ ܨܗܝܘܢ ܩܕܝܫܬܐ ܐܡܐ ܕܟܠܗܝܢ ܥܕ̈ܬܐ (٢

ومما شهد بهِ القديس ابيفان (٣ وهو من آباء القرن الرابع ان ايدي الرومان لم تعبث بهذه العلِّيَّة على عهد ملكهم طيطس

وقد لبثت على هيئتها القديمة الى اوائل القرن الرابع ولمَّا قدمت القديسة هيلانة (٤ أُم قسطنطين الكبير شيَّدت هناك كنيسةً عُظمى جميلة ذات طبقتين. ثمَّ رُممت هذه الكنيسة في القرن الثالث عشر . وذكر المؤرخون انّ هذا البناء الجديد كان مؤلفًا من طبقتين وهما كنيستان سُفلي وعُليا فالأولى كانت ذات ثلاثة اسواق والثانية كان سقفُها معقودًا بالحجر على شكل قُبَّة شامخة ذات حنيَّة واحدة كبيرة منمَّقة بابدع النقوش والصُوَر الرامزة الى ما كان قد جرى فيها من العظائم

---

١) «Jesus postquam cœnavit cum discipulis suis et lavit eorum pedes chrisma conficere docuit ». Epist. 2 cap. i.

٢) وتعريبهُ: «انَّنا نقرّب لك (أيها الاله) هذه الذبيحة المرهبة الغير الدمويَّة لأجل هذه الامكنة المقدسة التي مجدتها بظهور ابنك وخصوصاً لاجل صهيون المقدَّسة امّ الكنائس»

٣) راجع Quaresmius T. II, p. 121

٤) Nicéphore et Metaphraste, *voir* Quaresmius T. II, p. 122

وكان يقوم بامرها بعض رهبان من قانونيي القديس اغوسطينوس الى سنة ١١٨٧ . ويظهر مما اخبر به ويلبران اولدنبورغ (Willebrand d'Oldenburg) في رحلته الى الاراضي المقدسة سنة ١٢١٢ انه كان في جبل صهيون دير فخيم عظيم البناء يقيم فيه لفيف من السريان وكانوا يدلّون الزوّار على مكان الحجرة التي تمّ فيها العشاء السرّي

وسنة ١٢١٩ قدم الى القدس الرهبان الاصغرون بمعيّة رئيسهم القديس فرنسيس مؤسس الرهبنة المنتمية اليه واقاموا في جبل صهيون قرب دير قانونيي القديس اغوسطينوس المهجور. وسنة ١٢٢٧ سكنوا الدير المذكور وكان قد منحهم اياه الملك الكامل فسكنوه الى سنة ١٢٩٠ في ايّام الملك الاشرف صلاح الدين خليل صاحب الديار المصريّة. ثمّ عادوا اليه برخصة الملك الناصر اخي الملك الاشرف وجعله البابا اقليميس السادس في حراستهم ببراءته الصادرة سنة ١٣٤٣ وبقي في حوزتهم الى سنة ١٥٥٩ فحوّل جامعًا وعُرف بجامع النبي داود الى اليوم

ترجمة العالم المأسوف عليه

يوسف حبيب باخوس

بقلم الاديب نجيب افندي فارس باخوس

اخذت مجلة المشرق الغرّاء تنشر حينًا بعد آخر تراجم البعض من رجال العلم في ديارنا الشرقيّة الذين اشتهر فضلهم وبعد صيتهم. مدوّنة من اقوالهم ما حسن وطاب ومُوردة من نفثاتهم ما ترتاح اليه نفوس الأدباء طربًا. مما حملنا الان ان نهدي اليها شذرة من الكلام على حياة من كان من اعظم نصراء اللغة العربيّة ومن اعون اهاليها على احيائها في البلاد المغربية. وهو العالم الشهير والكاتب المُجيد المرحوم يوسف حبيب باخوس فنقول: «وصاحب البيت ادرى بما فيه»

ولد رحمة الله عليه في بلدة غزير قاعدة كسروان في ٥ ايار من سنة ١٨٤٥ ولما بلغ اشده ادخله والده مدرسة ماري عبدا هرهريا في عرامون بجوار غزير الشهيرة في

ذلك الحين فدرس فيها اللغة العربيَّة والايطالية واللاتينيَّة والسريانيَّة والعلوم الفلسفيَّة والتاريخية وبرع في جميعها لاسيما في اللغة العربيَّة التي جعلها غاية همه ومرمى لسهمه

وكان حضرة رئيسه ومدرسوه الافاضل يعجبون بتوقد فؤاده وحدَّة ذكائه وخصوصاً بغرابة حافظتهِ وسرعة خاطره (١. وبعد ان انهى دروسه في المدرسة المشار اليها درس الفقه وقوانين دولتنا العلية على الاب العالم المأسوف عليهِ الخوري ارسانيوس الفاخوري (٢. ثم عُيِّن مدرِّساً للبيان في اللغة العربيَّة في مدرسة عينطورا للاباء اللعازريين على عهد رئاسة حضرة الاب كوكيل الطيب الذكر. ولهُ في مدحهِ قصائد عديدة (وهي اول قوافيهِ) لم نقف الَّا على واحدة منها دفعها اليهِ بمناسبة عام ١٨٧٠ وهذا مطلعها:

ضياء العيد من افق السلام تبدَّى مُشرقاً في بدء عامِ

. . . .

ومنها في التخلص

بجاتيك الليالي البيض حلَّت فادنى حسنُها طيبَ المنامِ
وامَّت ربعَ اقوام كرام تدير عليهم كأسَ المدامِ
مشعشعة كأنَّ بها خلالًا تضاهي خلق كوكيل الهمامِ

ومنها في الختام:

---

١) اتفق ان الاب الشاعر الشهير المرحوم الخوري يوحنا رعد النزيري نظم قصيدة فريدة في بابها ورفعها لغبطة البطريرك المثلَّث الرحمات بولس مسعد يستنفرهُ ويستعطفهُ وهذا مطلعها:

ارفعْ سجوفك لحةً لنواظري وأزِلْ بلحظك دجن وحشة خاطري

فاشتهر امر هذه القصيدة وتحدث بها ذوو العلم والادب فهاجت بهم الاشواق الى مطالعتها فطلبوا من ناظمها ان يسمح لهم باستنساخها فابى عليهم ذلك لانهُ كان شديد الحرص على كلامه. فسكتوا وفي قلوبهم شيء منها. ثم لم يمضِ حين من الزمان حتَّى عرضت لصاحب هذه الترجمة حاجة اوجبت مجيئهُ الى بيته في غزير فرغب اليهِ بعض اساتذتهِ وارفاقه ان يحتال في نسخ هذه المنظومة الرائعة. فوعدهم بذلك الَّا انهُ لم ينجح مسعاه بل ذهب احتيالهُ ادراج الرياح. اخيراً طلب اليهِ ان يتلوها على مسامعه ففعل. ثم تناولها من يده وامعن فيها النظر مقدار خمس دقائق (كذا روى المرحوم يوحنا رعد) ثم اعادها اليهِ وتركهُ بقولهِ: «لقد قضي الامر». وفي المساء رجع الى المدرسة فاعاد على مسامع الاساتذة والطلبة ابيات تلك القصيدة برمَّتها وعدد قوافيها يناهز السبعين. فتأمل

٢) راجع ترجمتهُ في المشرق (٣: ٦١٤)

فلا زالت شموسك طالعاتٍ بافق السعد يا خير الكرام

وفي مدة وجوده في هذه المدرسة انصبَّ على درس اللغة الافرنسيَّة بمزيد الهمة والنشاط حتى حذقها ومهر فيها. وهناك ألَّف كتابه « الهدية السنيَّة لابناء المدرسة العازاريَّة » وهو مؤلف جزيل الفائدة قد ضمنهُ جلَّ القواعد الصرفيَّة والنحويَّة في اللغة العربيَّة جرى فيه مأمورًا على الخطة المتبوعة هناك في تعليم القواعد الافرنسيَّة نشر بالطبع مرتين

ثم ما لبث ان ترك مدرسة عينطورا وابحر الى الاستانة العلية لقضاء بعض المهامّ. فنال اذ ذاك حظوة في اعين رجال الدولة العظام وامتدح بعضهم بقصائد غرَّاء نذكر منها واحدة قد نظمها في مدح صفوت باشا وزير الخارجيَّة في ذلك الحين قال في مطلعها:

هي المراتب قد عزَّت مبانيها والحزم والعزمُ طبعًا من مباديها
وذي المعالي فمَن دام الدّراك لها بالفخر فالمجدُ يُؤتيه معاليها
لا يدرك المجدَ الّا فارسٌ بطل ولا يؤمُّ المعالي غيرُ واليها
لا بدَّ للمجد من شهم ومن نبَهٍ يُزهى بهِ المجد في علياءِ تيها
كالفرد صَفْوتَ من تاهت بعزّتهِ مراتب المجد دانيها وقاصيها
هو الوزير الذي شاعت مآثره في المجد لا يبرح التاريخ يرويها

ومنها: واقبلت شعراء العصر تنشدها وتستهلّ القوافي من معانيها

ومنها في الختام:

حمدًا وشكرًا لمولانا العزيز على إنعامهِ حين اعطى القوسَ باريها
سلطاننا المالك الدنيا بقبضتهِ مولى الخلافة ملجاها وكافيها
يا ربِّ خلِّدْ مدى الايام شوكتهُ واحفظ عدالتهُ وردًا لظاميها
يا ربّ نعّم رعاياه برأفتهِ وغيث نعمته لا زال يحييها

ثم آب الى بيروت وعُيّن مدرسًا للفصاحة العربيَّة في مدرسة الحكمة المارونية لسيادة مؤسسها المفضال المطران يوسف الدبس (اطال الله في ايامه) الذي قدرَّه حق قدره فاجلّه ورفع منزلته ولهُ في مدح سيادته القوافي المتينة والمنظومات الرائعة. منها قصيدة في « حكمة النفس » قد سبق نشرها في هذه المجلة (١). ومنها قصيدة اخرى رفعها اليه في اليوم الحادي عشر من شهر شباط لسنة ١٨٧٢ بمناسبة تذكار ارتقائه سدَّة ابرشية

١) راجع المشرق (٣: ٢٢٢)

بيروت لم نقف الّا على ثلاثة ابيات منها مكتوبة بالقلم الرصاصي وهي :

حيّوا المعالي فبدرُ الحسن قد طلعا   وكوكب السعد في افق العلى لمعا
وبشّروا المجد من اعلا مراتبه   واستبشروا انّ عام الحظّ قد رجعا
. . . .
وقام بالدين والدنيا بقبضته   ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا

ومن قصيدة لهُ في بيان «محاسن اللغة العربيَّة» رفعها لسيادة الحبر المشار اليهِ قال في مطلعها:

للشعر في خطرات الفكر آمالُ   وللقصائد إعراض واقبالُ
وللعروض بحارٌ عمَّ طالبَها   طورًا نداها وطورًا خاب تسآلُ
وللمعاني اذا جادت بها درر   يزينها النظم لا قالٌ وقالُ
بيانها السحر من اسرارهِ انكشفت   غوامضُ الحكم يروي سعدها الفالُ

ومنها:

نطوي وننشر من تدبيجها غررًا   والطبق والجمع والتفريق إشكالُ
حلّت عقود معانيها بتوريةٍ   حلت بها الذوق والتشبيه سلسالُ
عزّت فلا وصل الّا من مكارمها   يرجى وبالفضل للآمال آجالُ
تلقي المدائح اسنادًا بمسندها   وتُستَقلّ بها في الحمد اقوالُ
عن حسنها غرر الاشعار قد قصرت   وصفًا وبالقصر إحسان وإجمالُ
أنعم بها فهي أعرابية سفرتْ   واسعدْ بطلعتها فالسعد إقبالُ
تفرَّدت بين ابكار اللغى وعلتْ   قدرًا وعزّت بها بالفخر اجيالُ
صحّت بإعلالها الأفهام واعتصمتْ   حكمًا وفي صحّة الاحكام إعلالُ
وقد نحت نحوها الافكار وارتفعتْ   بنصبها منصب التفضيل ابطالُ
تنازعتها معاني الوصف واشتغلتْ   بنعت عاملها الموصوف اشغالُ

ومنها:

وكم رجالٍ افاض الدهر شهرتهم   براية المجد في مضمارها جالوا
هيهات هيهات ادراكٌ لشوطهمِ   فدون ذلك اخطارٌ واهوالُ
وكل علمٍ وفنٍّ ظلّ ينشدهم   بدائع الشكر تقريظًا لما نالوا
لا زال يزهو سنام كلّما خطرت   للشعر في خطرات الفكر آمالُ

وفي ٣٠ تموز سنة ١٨٧٩ دعتهُ الحكومة الايطالية بواسطة قنصلها في بيروت ليتولى تحرير جريدة عربيَّة "المستقل" تُطبع في كالياري (Cagliari) في سردينيا (Sardaigne) من اعمال ايطالية شأنها ان تدرأ عن المصالح العربيــة وتدافع عن

حقوقها وابنائها. فاجاب الى هذه الدعوة بطيب الخاطر وغاية ما يتمنَّاهُ وقوف النفس للدفاع عن حقوق امّتهُ العربية. وواقع الامر ان اعداد المستقل «الاولى» كما سيتضح لك ذلك ما تخطَّت ولا تعدّت حدّ الافصاح عن مجد العرب الباسق السابق وعن انحاء [illegible] البهاء في أُخريات الايام

[illegible] هذه الاصقاع مريدًا اولًا رومة العظمى حيث حظي بمقابلة قداسة البابا [illegible] الثالث عشر [illegible] سعيدًا [illegible] بعين الرعاية والالتفات ومنحهُ وكلَّ أُسرته البركة الرسولية متمنياً لهُ الفوز والنجاح في مهمته الجديدة

وبقي يتنقل في البلاد الايطالية من مكان الى آخر. متفقدًا ما فيها من جميل الآثار التي لم تقوَ عليها صروف الزمان (١. وفي اثناء ذلك كتب رسالته المعنونة «عشرون يومًا في رومة» اتى فيها باطلى عبارة واجمل اسلوب على ذكر ما تحويه المدينة الابدية من الآثار التي تركها الاقدمون. وقد طُبعت منها مقالة نفيسة في وصف مشهد الالعاب القديم

ثم بدأ بتحرير «المستقل» وقبل الشروع فيه نشر اعلامًا هو بمكان من البلاغة اتى فيه على جلّ الغرض المقصود من انشاء هذه الجريدة. وهذا نصهُ بحروفهِ ملخصاً:

«ان بلادنا الشرقيَّة التي افل قمر سعدها من فلك المعارف والعلوم بعد ان رفعت لواءها في الخافقين قد اشرق عليها الان شفقٌ من مجدها الغابر يبشر ظلماتها بقدوم ملك النور واستفاقت من سباتها ثابتةً أمام وثبات القاهرين فاعرب عنها لسان حالها بانها هي الامة العزيزة التي انارت شمس شرقها وقتًا ما حنادس الاصقاع الغربية .

«وان كوارث الزمان ونوازلها قد ذهبت بعظمتها الماضية التي اصبحت بياضًا على صفحات تاريخها وليس بوسع الجرائد العربيَّة ان تتصدَّى لهذا التقاعد وتندّد بسوء الأحكام حتّى اصبح امرها كوقائع قديمة يُنظَر اليها ولا يُنذهل منها. بيد اننا نعترف بالفضل لاكثر جرائدنا التي تقدمت على قدر الامكان ببيان هذا الخلل واصلاحه

«فبناء على ذلك قد عمدنا الى انشاء جريدة عربية اسمها «المستقل» اقترَّت لها ثغور الانوار في باكورة هذا العامَ الجديد. فهي للغافلين منبّه ساطع. وللشاردين محتد

١) من ذلك دمار پومپايي (Pompéi) راجع المشرق ٣: ٤٦١

جامع. تجوب فيافي البلاد العربية وصحراها. وتنشر ما انطوى من احوالها وبحراها. تصبو الى المناقشة الحسنة المرضية. وتأبى تراهتها شحناء التعصبات المليّة. املاً باحياء روح الاخاء بين متبايني الاحياء والاهواء . . .

« هذا وان ابواب المستقل مفتوحة للجميع على اختلاف مذاهبهم فيتلقى بالترحاب جميع المراسلات التي ترد اليه ويبحث عن وقائع العرب السياسية والمالية. ويبارض النظامات المخلّة والقوانين المذلّة. وسينشر وقتاً بعد آخر اخبار معتبريهم واشرافهم. شاكراً ما لبعضهم من المليح. ومونّباً ما لغيرهم من القبيح

« يُنشر المستقل في كالياري (Cagliari) احدى مدن ايطالية وعاصمة سردينيا (Sardaigne) ويصدر نهار الاحد من كل اسبوع. ويسهر موئسسوه على تقدمه وتعميم فوائده املاً بان يشب ويهرم فيغنم مسرّة القوم ومرضاتهم »

وفي ٢١ اذار من سنة ١٨٨٠ ظهر العدد الاول من المستقل. فاحسن الادباء استقباله وتهافتوا على الاشتراك بهذه الصحيفة التي عظم شأنها وانتشارها واشتهر امر محررها. ولعبت دوراً مهماً في عالم الصحافة والسياسة. فتشاغلت بها الجرائد الاوربية لاسيّما الافرنسيّة وتحدثت عنها مراراً عديدة كما اثبت ذلك رحمهُ الله في مقالة نشرها في اعمدة تلك الصحيفة نلخص منها ما يأتي:

المستقل وجرائد فرنسة

« نحن ممّن ولع بقراءة الجرائد الفرنسويّة وقد زاد شغفنا بها في هذه الأيام فاستلفتتنا واشغلتنا لما فيها من الآيات الباهرة والعبارات الطنّانة. وما تصفحناها الّا ورمقنا ذواتنا بعين العجب وطبنا نفساً بتلك العظمة والمرتبة العالية التي رفعت اليها مقامنا الذليل وما ذاك الّا فضل من المولى الكريم يؤتيه من يشاء . . .

« فهذا مستقلّنا جريدة عربيّة تطبع في كالياري تشاغلت به الجرائد الافرنسيّة فكبّرتهُ وعظمتهُ ونشرتهُ في جهات البسيطة الاربع وحملت اخبارهُ رُسل البرق من قطر الى قطر. فاستمالت اليه افكار القوم ليروا هل صدق الخبر فيما رواه. ام سمعك بالمعيدي خير من أن تراه. فنقلت موائد مكتبتنا بالرسائل البرقيّة والتحارير المستطيلة التي وردت الينا من المانية وسويسرة وانكلترة وباريس واميركا ايضاً تقرظ حقارتنا وتطلب

الينا ان ندوّن اسماء اصحابها في عداد المشتركين بتلك الجريدة...»

ولهُ في تلك الصحيفة مقالات نفيسة في السياسة والعلم نقتطف العبارات الآتية من مقالة لهُ عنوانها «السياسة في الشتاء»:

«جاء الشتاء وأكمد وجه الافق وبرد الهواء وبدا الجليد في الاصقاع الشمالية من الاوربيَّة وخيَّمت الغيوم فوق سماء قبليّها فأثّرت هذه الغرائب الطبيعيَّة بحركات السياسة فامسكتها وانقبضت لبرودتها. ولا غرو ان تطفأ تلك الفقاقيع التي نفختها حرارة الصيف اذا ما هبَّت بها ريح القطب الشمالي المتجمد وينحصر بعدها عنصر السياسة ويأوي الى كهوفهِ ويلجأ الى ربوعهِ يستظل بها من قساوة الشتاء. على انهُ يبقى لهُ امتداد وتأثير في افلاك الوزارات وآفاق الامارات حيث اذا خمدت الحرارة فلا تهمد. واذا اشتعلت استترت وراء الهدو والسكينة ودماثة الاخلاق. ونفرت عن الجافاة والمقاواة فانها في فصل تلطف بهِ الاحاديث كلطف الهواء وتجمل فيهِ مبادلة العواطف الوداديَّة وتكثر فيهِ الاجتماعات والملاهي في نوادي الانس ومآدب الطعام التي تعوّد الاخلاق الجامحة والايناس

«ما زالت السياسة في اوربة تتقلّب من حال الى حال: تنقبض ببرودة الوقائع وتتمدَّد بحرارتها. يكفهرّ وجه شمسها وتخيّم غيوم افلاكها فتضرب بها اطناب الكهربائيَّة فتبرق وترعد بدون ان يسيل من حرارتها مطر الدم المدرار. وليتهُ لا يسيل ابدًا... فلا يزال هذا البرق خلّبًا

«وكل يرى ان الهيئة الحاضرة لم تكن غير ثابتة قط بل انها تشفّ عن مستقبل يترعَّدنا بالمصائب والنوائب. ونوازل الحروب وغوائلها. وما برح رجال السياسة يضربون دون هذه النتائج ستائر التورية والابهام ويظهرون لنا غير ما يقتضيهِ المقام. وطالما سمعنا خطبهم وقرأنا اقوالهم وكلها تبشر بالسلام والامان وتتغاضى عن الاشارة الى الاستعدادات الحربيَّة والنفقات العسكريَّة التي ناءَت بوقرها مناكب اوربة

«فاذا قرأنا في جرائدهم الوزريَّة فصلاً مهمًّا فلا نرى بهِ الَّا تمويه الوقائع. والافتنان بمغايرة ما سلم بهِ الجميع ويجهدون انفسهم لان يخفوا علينا ما تهمّنا معرفتهُ وننظر الى النظر اليهِ جليًّا بعين مجرّدة مأوفة

«فما مرَّ عصر كثرت فيهِ جناسات الفصاحة وبديعها كما فاضت في ايَّامنا هذه

وربما لم يمهر احد في صناعة الكلام كما مهر فيها رجال عصرنا. فهم يستعيضون احياناً بالكلام عن السكوت. وبالسكوت عن الكلام. فيعتقدون غير ما يفوهون به ويفوهون بضدّ ما يعتقدونهُ. واذا نادى احد رجال السياسة وقال: يا ايها الناس انتم في خطر من الحرب وشرّ غوائلها. صرخوا باعلى اصواتهم: «انهُ مجنون مغفل لا المام لهُ بالسياسة واسرارها وان في الزوايا خبايا لا يعرفها الّا اهلها وابن بجدتها. وللاحكام ارباب يحيرون حقها ويخصهم وحدهم النظر في نظامها فانهُ وحي أُنزل على قلوبهم». فعلينا ان نرضى بما نسمعهُ منهم فقط وكل ما بلغنا الى الان ينحصر بهذه العبارة الوحيدة التي صارت من قبيل اللازمة تتكرر في كل محضر وخطاب وهي: علائقنا حسنة مع الجميع ولنا امل كبير بدوام السلم...» (التتمة للآتي)

فنّ الفوتوغرافية او التصوير الشمسي

للاب لويس دي انسلم (تابع لما سبق)

٢ تعريف الفنّ وطرائقهِ وادواته

بحثنا في مقالة أُولى عن تاريخ فنّ التصوير الشمسيّ والمبادئ الطبيعية التي يركن اليها. وهذه نبذة ثانية نبحث فيها عن اساليب هذه الصناعة ولوازمها والادوات المتخذة لإحكامها وتحسينها

اعلم انّ للتصوير الشمسي فرعين كبيرين او طريقتين متشعّبتين: غاية الاولى رسم الصور السلبيّة وغاية الثانية اصطناع الصور الايجابيّة

١ الصورة السلبيّة

تُصطنع الصورة السلبيّة لتُرسم عليها عدّة صور ايجابية. وهو امرٌ جوهريّ لا بُدّ منهُ لتوفير الصور على قدر ما يشاء المصوّر. ولولا الصورة السلبيّة لبقيت الصورة منفردةً لا يمكن تمثيل نُسَخها. وتدوين هذه الصورة السلبيّة انّما يكون على وجه مطليّ بطلاء حسّاس يُجعل ضمن الخزانة المظلمة فتتّصل بسطح هذا الطلاء هيئة المنظورات

الخارجيَّة وذلك بان تنفذ اشعَّة هذه المرئيَّات المضيئة في ثقب ضيّق او تجتاز بعدسيَّات تُعرف بالشبحيَّة (objectif)· فعلى حسب مرور الاشعَّة في الثقب او في العدسيَّة تنقسم الصناعة الفوتوغرافية الى فوتوغرافية بلا شبحيَّة وفوتوغرافية بشبحية

١ الفوتوغرافية بلا شبحية · لا تحتاج هذه الطريقة سوى الى ثقب دقيق حسن الدائرة يجعل في جدار الخزانة المظلمة المقدَّم · فالصورة المدوَّنة على هذه الطريقة تأتي مطابقة لهيئة المنظورات · امَّا كِبَر الثقب والزمن اللازم لعرض الطلاء للنور فكلاهما يُعرف بنواميس مقرَّرة في الرياضيَّات · غير انَّ هذه الطريقة لرسم الصور بلا شبحية قليلة الاستعمال

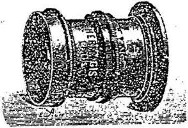
٢ الفوتوغرافية بشبحية · لا غنى للمصوّر اذا جرى على هذه الطريقة الثانية عن ان يتَّخذ خزانةً مظلمة ثمَّ شبحيةً مع حاجز ثمَّ سِداداً ثمَّ قائماً ثمَّ مسدِّداً

الخزانة المظلمة عبارة عن ركن أُفقي يجعل فوقهُ لوحان يجمع بينهما جلدٌ على هيئة المنفاخ لا ينفذ فيهِ النور ففي اللوح الامامي تجعل عدسة الشبحية امَّا اللوح الخلفي فيتزَّل فيهِ لوح من الزجاج الخشيب يجوز تقريبهُ او ابعادهُ فوق ركنهِ الى ان تظهر صورة المنظورات جليَّةً عليهِ · وعند العمل تُنزع هذه الزجاجة ويوضع بدلًا منهـا الإطار (châssis) المتضمن الصفيحة الحسَّاسة · وهذه الصفائح الحسَّاسة تجهَّز في غُرف خصوصيَّة بعيداً عن النور ثم توضع في هذه الاطارات بحيث لا يمسُّها النور والأَولى ان تجعل عليهـا ارقامٌ لئلَّا يسهو المصوّر فيستعمل البعض منها بدلًا من الآخر

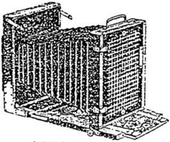
وهذه الاطارات على انواع شتَّى · فمنها ذات جرَّارات خشبيَّة تكون مربَّعةً مستطيلةً تُدخل الصفائح الحسَّاسة في جوانبها المكفة وتُسحب عند عرض الصفيحة للنور · فاذا تأثرت بهِ أُنزل الجرَّار فيغطيها · وهذه الاطارات تُنقل الى العمل لتتمَّة العمليَّات وهي في الغالب مزدوجةٌ يُجعل لها جرَّار على كلّ من جانبيهـا وبين الجرَّارين مخزنان لتجعل فيهما صفيحتان حسَّاستان · ومنها ما تكون ذات ستـائر مَرِنة ويتَّخذ لذلك قطع رفيعة من الخشب تُغرَّى بعضها فوق نسيج من القماش لا يخرقهُ النور · ومنهـا ما تكون مستديرةً على شكل الملفّ وهذه الاطارات اكثر استعمالهـا مع الصفائح الحسَّاسة التي تُجهَّز على صورة جُليدات رفيعة تلتفُّ على بعضها وتُنشر في ساعة عرضها للنور · فتُجعل الاطارات على قدر كل جُليدة ويُفرز بعضها عن البعض · ولهـذا



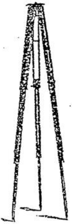
السداد



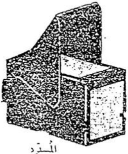
الشبحة



الخزانة المظلمة



القائم



المُسترد

الملفّ ميناء يدلُّ في كل دورة على عدد الصور المتأثرة بالنور . كما انهُ يسمع لهُ رنّة كل مرّة ينجز الملفّ ويبتدئ ملفٌ آخر بدلًا منهُ

الشبحيَّة عبارة عن جهاز مركَّب من عدسيَّات والغاية منها ايصال صورة المرئيَّات الى الزجاج الغليظ ثم الى الصفيحة الحسَّاسة التي تُجعل في مكانهِ . وليس من شأننا هنا ان نصف [illegible] العدسيَّات وكيف تنفذ فيها اشعَّة المنظورات فتصور معكوسة وراءها على حاجز . [illegible] لنواميس طبيعيَّة يفسّرها العلماء في كتبهم . وهذه العدسيَّات تُصطنع من عناصر بلوريَّة شفَّافة يدخل في تركيبها القلى (crown) او الرصاص (flint) والبعض يتَّخذون الآن لصنعها الزجاج الممزوج بركن الباريوم فنالوا بذلك شبحيَّات غاية في الصفاء . وهذه العدسيَّات تُقسم الى قسمين قسم يُجمع الاشعَّة في مركز واحد (lentilles convergentes) وتكون على ثلاثة اشكال اما محدَّبة على الجانبين (bi-convexe) واما محدَّبة على احد الجانبين ومسطَّحة على الآخر (plan convexe) واما محدَّبة على جانب ومقعَّرة على الآخر (ménisque convergent) والقسم الآخر يختلف اتجاه اشعَّتهُ (l. divergentes) وهو ايضًا على ثلاثة ضروب : مقعَّر الجانبين (bi-concave) مقعَّر مسطَّح (plan concave) ومقعَّر محدَّب (ménisque divergent)

ولتحديب هذه العدسيَّات وتقعيرها قوانين ثابتة وهي تتركَّب مع بعضها على طرائق شتَّى واذا كانت هذه العدسيَّات من صنفٍ واحد دُعيت بسيطة واذا رُكّبت اصنافها المختلفة دُعيت مركَّبة . والمركَّبة ذاتها تُقسم الى قسمين فمنها ما تكون شبحيَّةً متناسبة (objectif symétrique) ومنها ما يكون غير متناسب (obj. dissymétrique) . ولكل من هذه الاجناس العديدة تجهيزات خصوصيَّة تُعرف باسماء مخترعيها في كلّ بلدٍ

الحاجز (diaphragme) صفيحة معدنية في وسطها ثُقب مستدير يختلف كبرهُ . والغاية منهُ إلغاء الاشعَّة المضيئة التي في اطراف الشبحيَّة او ما كان منها بالغ الانحراف فالحاجز ينفي هذه الاشعَّة ويزيد الصورة حسنًا ودقَّة . ومن الحواجز ما لهُ عدَّة صفائح تختلف ثقوبها كبرًا فيختار منها المصوّر ما احبَّ بضغطهِ على محرّك يُجعل في خارج الشبحيَّة

وللحاجز في التصوير الشمسي دورٌ مهمٌ وربَّما مكَّن صاحبهُ من تلافي الخلل في الصورة لاسيَّما اذا كانت المنظورات بعيدةً . الَّا انَّ استعمالهُ يقتضي وقتاً اطول على قدر صغر الثقب . فكلَّما كان ثقب الحاجز اصغر اضطرَّ المصور الى عرض الصفيحة الحسَّاسة زمناً اطول للنور . ومن ثم قد قرَّر ارباب العلم انَّ الوقت اللازم لعرض الطلاء الحسَّاس للنور يختلف في كلّ شبحية بعكس ثقب الحاجز او بعكس مربّع قُطرهـا . وفي المؤتمر الاخير الذي عقدهُ كبار المصورين قد اثبتوا انَّ الحاجز القانوني هو الذي يناسب عُشر المستوقدة الاصلية في الشبحيَّة اي مركز حرارتها امَّا بقيَّة الحواجز فينبغي على مجهّزيها ان يصغّروا ثقوبها بحيث يتضاعف دائماً وقت العرض بنسبة ١٦،٨،٤،٢ الخ وحتموا بان تدوَّن هذه الارقام على كل حاجز ليقيسها المصوّر على الحاجز القانونيّ ويستعمل منها ما رآهُ موافقاً لغايته

فترى من قولنا السابق انَّ للشبحيَّة والحاجز امراً كبيراً في التصوير الفوتوغرافي . وان رضي طالب هذا الفنّ برأينا اشرنا عليه ان لا يدَّخر وسعاً في الحصول على شبحيَّة حسنة وان تكلَّف عليها مبلغاً كبيراً . فانَّ الشبحيَّة اذا كانت جيدة مستوفية الشروط امكن صاحبها رسم صور متقنة وان كان قليل الخبرة بالصناعة . فساء اذن عملاً بعضُ طلبة الفنّ اذ يصرفون الدرهم عن يد سخيَّة ليحصلوا على آلة محكمة الصُنع جميلة المنظر وهم يغضُّون الطرف عن الشبحيَّة ولها الشأن الاكبر والاثر الاخطر في التصوير . وقد امتازت في ايَّامنا الشبحيَّات التي اخترعها غُرس (Goërz) او زَيس (Zeiss)

السداد (obturateur) آلة تحجب بها الشبحيَّة وهي لا تُكشَف الَّا في ساعة عرض الشبحيَّة للنور لتتأثَّر به الصفيحة الحسَّاسة . وكشفها لا يتجاوز بضع ثوانٍ . والمصوّرون يعيرون السداد بالأعظم منذ اتخاذ الصفائح المطليَّة بالهلام والبروم (gélatino-bromure) لشدَّة تأثُّرها بالنور . فان لم يُراعِ المصوّر امرها بالسداد تلفت الصفائح . والسدادات امَّا جانبيَّة (obturateurs latéraux) تكشف عن الشبحيَّة من احدى الجوانب ثم تسدُّها . وامَّا مركزيَّة (obt. centraux) وتكشف عن الشبحية من مركز البصر او بازالة شقَّة تمرُّ بهذا المركز وهي تُسدّ بالحركة المخالفة . وقد اخترع قومٌ من العلماء ضروباً عديدة من السدادات كغاريّ (Guerry) ومارِس (Mairesse) وكروس (Krauss) وغيرهم . امَّا هيئاتها فمنهم من يختار السدادات

المستديرة لحسن خواصّها النظريَّة ·ومنهم من يؤثر السدادات المستطيلة لتوفُّر اشتّتها· وعلى كل حال لا بدَّ للمصوّر ان يُسرع في فتح هذه السدادات وسدّها لئلا يتأثَّر جانب من الصفيحة المطليَّة اكثر من الآخر·ولاستدراك هذا الضرر يفضّل البعض اتّخاذ صامة ينزعها المصوّر بيدهِ عن فوهة الشبحية ثم يعيدها فتتأثر الصفيحة كلُّها بوقت واحد

القائم (pied) ما يُجعل فوقهُ آلة التصوير ويكون امَّا ثابتًا كما ترى في معامل المصورين وامَّا خفيف الحمل ينقلهُ المصوّر معهُ·وهذا الصنف يكون عادةً مركَّبًا من ثلاث شُعب يمكن فكّها وضمّها الى بعضها بعد استعمالها·واكثر استعمال القائم في الادوات غير البديهيَّة·امَّا الادوات التصويريَّة الصغرى البديهيَّة (instantanés) فلا حاجة لها الى قائم وانَّما يكتفي صاحبها ان يمسكها بيدهِ

المسدِّد (viseur) هو جهاز صغير لاحق باداة التصوير يمكّن المصوّر من معرفة سمة المنظورات الخارجيَّة·وهو نافعٌ جدًّا للادوات البديهيَّة ليعرف المصوّر متى يجتاز الشَّبح في ساحة الشبحيَّة·ولا بُدَّ منهُ اذا كانت محمولةً باليد حيث المصوّر لا يمكنهُ ان يسدّد المرمى بواسطة الزجاجة الغليظة·والمسدّد في الغالب لا يتركَّب الَّا من عدسيَّة مقعَّرة من الجانبين او من موشور خصوصي·وربَّما كان المسدِّد على شكل خزانة مظلمة صغيرة الحجم او غير ذلك من الهيئات المسهّلة لنظر الصورة

(الباقي للآتي)

خمريَّات نصرانيَّة

اهدانا جناب الفاضل الوجيه بشاره افندي يارد مجموعًا كُتب منذ نحو مئة سنة فيهِ عدَّة قصائد في معانٍ مختلفة منقولة عن شعراء اقدمين·امَّا اسم الجامع فلم يُذكر والمرجَّح انهُ احد ادباء الروم الملكيين·وفي آخر هذا المجموع خمريَّات نقلها عن كتبةٍ نصارى لم يذكر اسمهم استرسلوا في وصف المدامة واستطردوا الى ذكر الخمرة المقدَّسة في القربان الطاهر· فاحببنا ان نثبت نُتفًا من اقوالهم لعلَّ احد قرَّائنا يرشدنا الى معرفة اصحابها ل·ش

قال بعضهم

عُجْ حيث تُسْمَعُ اصواتُ النواقيسِ   في جانب الدير تحت الليل بالعيسِ
وحُطَّ جانب يوحا ثم صاحبه   يوشا وتوما ثم مركيسِ (١
مستخبرًا عن كُمَيْتِ اللون صافيةٍ   قد عتَّقتها أُناس في النواويسِ (٢
مرَّ الزمان عليها فهي تُخبِر عمَّا   كان من آدمٍ بلَ قبل ابليسِ
صفتْ وراقت ورقَّت فهي ذات سنًا   تجلُّ في الوصف عن عيب وتدنيسِ
ترى الرهابين جُزعًا من إمامتها   اذا بدت بين شماسٍ وقسيسِ
تتلى الأناجيلُ تعظيمًا اذا برزت   لها باشرف تسبيحٍ وتقديسِ
لو ذاق منها غزالُ السرب مضمضةً   لَما تهيَّب قهر الأسدِ بالخيس (٣

وقال آخر

إدْنَحْ لراحٍ غدت في الكأس تبتسمُ   وأغنم سُلافتها فالراحُ تُغتنمُ
قالوا هي النارُ قلتُ الماء تُلهبها   والنارُ ليست مع الامواه تلتئمُ
فقيل روحٌ بلا جسم فقلتُ لهم   انَّى تقطِّبُ احيانًا وتبتسمُ
فقيل بل جوهرٌ فردٌ فقلتُ لهم   أَلجوهرُ الفردُ شيءٌ ليس ينقسمُ
ماءٌ هواءٌ سماءٌ شُهبها حَبَبٌ   نَور ونُورٌ ونارٌ حين تضطرمُ
حمراء طالعة صفراء فاقعةٌ   بيضاء ساطعةٌ تعنو لها الاممُ
تحيا بها رِممٌ ينشا بها كَرَمٌ   تُجلى بها ظُلَمٌ يبرا بها سقمُ
في سخطها نِقمٌ في بسطها نعمٌ   ما شانها قدمٌ بل زانها قِدَمُ
ما أُلبست زردًا يومًا طلائعها   الَّا وولَّت جيوش الهمّ تنهزمُ
قد هام طالبها مذ سام خاطبها   لو رام كاتبها وصفًا ابى القلمُ

---

١) يريد بيوحا القديس يوحنَّا. واما يوشا فهو كيوسى او يوسف (راجع انجيل مرقس ٦: ٣). والمراد هنا كنائس يكرَّم فيها هؤلاء القديسون

٢) النواويس الاسراب والمقابر حيث كانت قديمًا كنائس النصارى

٣) الخيس غابة الاسد. يريد انَّ شارب هذه الخمرة السريَّة يضحي اشدّ من الأسد

خمرية من كتاب دعوة القسوس (١

لقد غفلتْ خطوب الدهرِ عنّا وقد ظعنت الى الصهباء روحي
وقد حضرت ومَن تهوى فبادرْ أرِوْ جوانحي بدم الذبيحِ
فلو كانت حراماً ما أُبيحت لمن يختارُ شرب دم المسيحِ
ولا داوى بها ربُّ البرايا بليّة آدمَ المُلقى الجريحِ
ولا اوصى الرسول بها جهاراً وحلّل شربَها امرُ السَّليح(٢
فان بادرتَ فُزتَ بكلّ شكرٍ وحصّلتَ السرور مع المديحِ
وان اخّرتَ دعوتَنا لأمرٍ خسرتَ جزاكَ من صنع المليحِ

وقال ايضاً

ايا من غدا ذخري لكل ملمّةٍ تامٌ ولا زيدٌ سواه ولا عَمْرُو
هلمَّ الى الراح التي كان صانها لنا دون خَلق الله في دنّها العُمْر(٣
فبادر الى راحٍ تجد فيها راحةً وشمّر اليها قبل ان ينفذ العمرُ

ولهُ ايضاً

أشدد ذيولك في عُرى الزُنّار واعجل الى دنّ طُلي بالقار
واكشفْ تجد شمس الضحى محجوبةً قدماً مدى الأيّام والاعصار
نورٌ يفوق سناء كلّ طريقةٍ من ساطع الاضواء والانوار
سرٌّ أسرَّ به الى تبّاعه ربُّ العقولِ وكاشف الاسرارِ
قد قاتُ لمّا أُبرزت في كأسها نَفسُ الذي باعَ الضيا بغبار
مالوا الى الدينار قاتُ عُدِمتكم أدَمُ المسيح يُباعُ بالدينار
قد كان قبلهم يهوذا بائعاً دمهُ بنزر التِبْر للكفّار

ولهُ ايضاً

نورٌ بكفّك ام شهابُ النارِ جمرٌ تضرّمَ ام نُضارٌ جارِ
شمس الضحى في الكاس ام فجرٌ تبسّمَ. صبحهُ من تحت ليل القارِ
هذي التي مزج المخلصُ كأسها في يوم عيد الفِصح للاطهارِ

١) لم نجد ذكراً لهذا الكتاب في ما لدينا من التواريخ ٢) السَّليح والسّليح من السريانيّة معناها الرسول ٣) العُمر سريانيّة معناها الدير والكنيسة

هذي التي جلّت بها. أنوارها عن سائر الاشجار والاثمارِ
صفراء لكن حمرةٌ في خدّها من لطم اخمص أرجل العصّارِ
لمّا رمتْ منها الكثيفَ تجوهرت وتلاعبت بلطائف الافكارِ
وكذا النفوس اذا رمتْ شهواتِها فازت بعلم غوامض الاسرارِ

وله ايضاً

أمِطْ عن سناها الختم طال بها العمرُ فما صانها الّا لاربابها العُثرُ
فقد جئتُكَ يا راهبَ الدير خاطباً لها راغباً فيها وان كَثُرَ المهرُ
فقال اريدُ المهر تبرًا فانّما لترجعُ صِفر الكفِّ ان ظهر الصُّفرُ
فقلتُ إذنْ قُمْ للعُقار مبادرًا أكِيْلْ لكم تِبْرًا يُكيَلْ لنا خمرُ
وقلتُ لهُ خبِّرْ حقيقةَ امرها فقد بان لي من سرّ انوارها خُبْرُ
فقال هي الراحُ المسيحيّةُ التي جلا امرَها ربّي كما اشتهر الامرُ
اذا أُترِعت في كأسها وتلألأت يخال بها جمرٌ وليس بها جمرُ
مشعشعةٌ يزهو على البدر نورها كأنّ سناها في جبينك يا بَدرُ
معطَّرة اعطافُها فكأنّما استُعير لها من جنّة العَدْنِ النَشرُ
تناولها سمعانُ ثمّ تداولت يمرُّ بها عصرٌ ويدركها عصرُ
الى ان وجدنا في المذابح من سنا تجوُّهرها سرًّا فبان لنا السرُّ
فكان لها خدرُ الدنان فاصبحت براحاتنا تُجلى والبابنا الخدرُ

وله ايضاً

هذي هي الراحُ لا شبهٌ لجوهرها ولا يماثلها باللُطفِ مشروبُ
قد قال سيّدنا والكأس في يدهِ هذا دمي لخلاص الخلق مسكوبُ

وبعد هذا خمريّةٌ تنسب الى ميخائيل بن حاتم قال انّها من بحر السلسلة وهذا مطلعها:

زاد شوقي لشربِ راح كؤوسي بالعشيّةِ او بصُبح شموسي

يصف فيها الشاعر كثيرًا من عادات زمانهِ عند تقرُّبهم الى القربان الاقدس من اعترافٍ بذنوبهم وابتهالاتٍ الى الله. ويدخلها كثير من الالفاظ اليونانيّة المعرَّبة «كخريسطوس» و«آجيوس» و«ايسوس» و«طوبتروس» و«ثاووس» غير انّ هذه القصيدة لا يكاد يُستخرج منها بيت صحيح. امّا صاحبها ميخائيل بن حاتم فلا نعلم لهُ خبرًا وقد ختمها بهذا البيت:

قال ميخائيل حاتم المديح فيها زاد شوقي اشرب راح كؤوسي (كذا)

سوء العاقبة

بقلم الاديب نجيب افندي مشعلاني

في سنة ١٨٦٥ كانت في احدى قرى لبنان ارملة فاضلة تقيَّة لم يبقَ لها على الارض الّا ولد صغير اسمهُ يوسف عطفت عليهِ وصرفت قصارى جهدها في تربيتهِ الى ان ترعرع وبلغ اشدَّهُ. ثم اعتراها مرضٌ عضال اشرفت بهِ على الموت فدعت ولدها ووحيدها واجلستهُ بجانب فراشها ثم امسكت يدهُ وقالت: «بنيَّ وحشاشة كبدي تراني على وشك مزايلة هذه الدنيا الفانية لالتقي بابيك وابائي في جنَّة الخلود فلم اشأ ان افارقك دون ان أُوصيك وصيَّتي الاخيرة اطلب اليك الّا تردَّها عليَّ فاموت مسرورة»

فلم يسمع الشاب كلام والدتهِ حتى هطلت الدموع من شؤونهِ وكادت تخنقهُ العبرات. فلمَّا سكن جأشهُ اقسم لامهِ الأَيمانات المحرَّجة بانهُ سيقوم بوصاتها ويسير على مشورتها. فاخذت امهُ تستحلفهُ بالله على التمسك بعرى الايمان الكاثوليكي الذي ورثهُ عن اجدادهِ ورضعهُ مع حليبها منذ نعومة اظفارهِ. ثم حضَّتهُ على ان يتخذ لهُ رفيقةً عاقلة صالحة يقضي واياها سنيهِ بالسلام وخوف الله لانَّ المرأة الصالحة على ما جاء في الاسفار الالهية نصيبٌ حسن دونهُ كل كنوز الدنيا. وقالت: «ايَّاك يا بُنيَّ ان تنظر الى ثروتها وتضرب الصفح عن ادبها فتكون كجهَّال هذا العصر يسألون عن جهاز الابنة (الدوتة) ولا يبحثون عن اخلاقها وتقاها فتسوء احوالهم ويرتجون كأس هنائهم». ثم اخذت مسبحتها وأهدتها لابنها كحرز يقيه فيُصلّي بها ويتذكر كلامها

ولمَّا اشتدَّت وطأة الداء على الوالدة المسكينة رغبت الى ولدها ان يأتيها بكاهن فقدم الكاهن وزوَّدها بالاسرار المقدَّسة واسلمت روحها بهدوء وسكينة بين ايدي خالقها وفي غد ذاك النهار واروها اللحد مأسوفًا عليها وبقي الولد غائصًا بعدها في بحر الوجع وهو يبكيها بكاء مرًّا لكنهُ كان يعزّي نفسهُ بذكر فضائلها ويجدّد مقاصدهُ بان لا ينكث ابد الدهر ما وعدها به

ويوسف هذا لم يكن مثريًا ولا محتاجًا وانَّما كان يأكل خبزهُ من عرق جبينهِ. فمرَّت عليهِ بضعة شهور وهو يزاول الفلاحة فيرتزق منها. لكنَّ شيطان المال لم يلبث ان

يستفزّ قلبهُ ويلعب بافكاره فطمح بصرهُ الى بعض مواطنيهِ ورآهم ذهبوا الى اميركة بثيابهم اللبنانيّة فعادوا لابسين « البنطالون والقميص المكوي » . فاخذتهُ الغيرة منهم وامسى لا يحلم الّا في اميركة حتى تغلّب عليهِ هذا الفكر وباع اكثر ما اورثهُ ابوهُ من الارزاق ثم اعترف وتناول القربان الاقدس وشدّ مسافرًا الى اميركة مطمح آمالهِ

. . . .

مضى على يوسف ستّة اشهر وهو في ضواحي سان فرنسيسكو يتجوّل في القرى المجاورة ليبيع بعض العروض جماعها رأس مالهِ . وكان مع ذلك مداومًا على واجباتهِ الدينيّة يتقدّم على كلّ مواطنيهِ بالورع واستقامة المسلك ولا يهمل صلاة الورديّة فيتلوها كل يوم لاجل راحة والدتهِ بذات المسبحة التي تسلّمها من يدها ساعة وفاتها

فبينما كان يسير يومًا وصندوقة امتعتهِ على ظهرهِ والمسبحة في يدهِ يصلي اذ التقى باحد السوريّين اسمهُ غنطوس توطّن اميركة منذ سنين فابتدرهُ يوسف بالسلام وبعد ان تصافحا قال لهُ غنطوس : ما الذي بيدك يا يوسف

— هذه مسبحتي ورثتها من والدتي فاقضي الوقت بصلاتها

— ما هذا ألملك تاسك ؟

— اما كل كاثوليكيّ يتلو المسبحة فلمَ تتعجّب مني ؟ وانت ألا تصلّي ؟

— أنا ؟ وهل تظنّني اتيت مثلك حديثًا من لبنان لاصدّق بهذه الخرافات النسائيّة . اني قد عاشرت العالم المتمدّن وعرفت انّ المال وحدهُ يشرّف الانسان . فدع عنك هذه الخزعبلات وايّاك ان تتظاهر بالصلاة امام الاميركيين فانهم يعدّونك جاهلًا غير متمدّن ويهزأون بك . واجعل اهتمامك بجمع الاموال اذ لم تأتِ اميركة سوى لهذه الغاية فهذه نصيحتي اليك اريد بها صالحك ليس الّا

فلمّا سمع يوسف هذا الكلام وكان خوّار القلب ضعيف العزيمة اطرق ساعةً الى الارض ثمّ القى بمسبحة امهِ في دغل الغيضة وشكر صديقهُ شكرًا حميمًا على نصيحتهِ وواصل سيرهُ الى حيث نوى ومذ ذاك الحين لم يعد يصلّي الّا نادرًا بل اتصل بعد زمن قليل الى اهمال كل فرائضهِ الدينيّة ولم يبقَ لهُ من همّ الّا حشد الاموال باي طريقة كانت الى ان جعل الخبث دينهُ والمكر ديدنهُ

صرف يوسف ثلاث سنوات في اميركة وجمع في مطاويها مبلغًا وافرًا من

الدراهم مكّنهُ من العود الى وطنهِ مرتدياً « بالبنطلون والقميص المكوي » اللذين حنّت اليهما نفسهُ الأمّارة . لكنهُ ما اقام في قريتهِ بضعة اسابيع حتى استنكف من اهلها العائشين بالهدوء والقناعة فلم تلذّ لهُ الاقامة بينهم في قرية حقيرة صغيرة وقد اعتاد ضوضاء المدن الكبار . وزادهُ نفوراً من قريتهِ انّ سكانها كانوا من ذوي التقى يعتصمون بحبل الدين ويجدون فيهِ قوّة وسلواناً بل كنزاً ثميناً لا يساوي بهِ حطام العالم باسره . وكانوا كلهم يلومون يوسف على قلّة دينهِ ويذكّرونهُ بما كان عليهِ اباؤهُ من التقوى امّا هو فكان يحسبهم جميعاً جهلاء ويعتبر نفسهُ فريد عصرهِ عقلاً وذكاء . وعليهِ فانهُ ترك قريتهِ واتخذ بيروت سكناً لهُ

وصل بيروت حيث اغواه الشيطان وسوّل لهُ ان يعيش بالبذخ والاسراف واللعب والمقامرة فاتلف بوقت قصير معظم ثروتهِ حتى تخوّف الفقر والذلّ فشرع يفكر في وسيلة ينجو بها من هذه الورطة ويداوم على ما اعتادهُ من المقامرة والملاهي فلم يجد سبيلاً لاصلاح امورهِ غير الاقتران بفتاة مثرية . وكان هذا الامر سهلاً لما عُرف بهِ سابقاً بين اهل بيروت من الغنى والجاه . وكان اذا ذكر وصية والدتهِ الاخيرة يقول : انّ عقل امي ساذج قديم ولم تكن تعرف شيئاً من امور التمدّن أو ليس الشبان مثلي يقترنون بذوات المال والجمال فما يضرّ بي ان اقتدي بهم ؟

ولم يمضِ زمن طويل حتى ظهر فكر يوسف الى حيز الوجود فاقترن بفتاة تربّت بالغنج والدلال بين القصف واللهو لم تعرف من الآداب الّا اسمها ومن الدين الا قشرتهُ . بيد انّ والدها كان ذا ثروة طائلة فخصّ ابنتهُ بقسم جزيل من مالهِ جعلتهُ بعد اقترانها بين يدي زوجها ثمّ جعلت تبذرُ مالها هي من جهة وزوجها من جهة أخرى حتى افنيا ما لديهما بعد سنين قلائل

وكان الله رزقهما في تلك الاثناء ولدين ذكراً وانثى فذهب الاوّل الى اميركا لمّا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ وانقطعت اخبارهُ عن والديهِ حتى لم يعرفا أهو من الاحياء ام من الاموات . وتزوّجت الثانية برجل تقي متوسّط الحال عاشت معهُ باتمّ الهناء .

ثمّ رأى يوسف ما ادّاه اليهِ اسرافهُ وخاف ان يشتهر امرهُ في بيروت فيسقط في اعين معارفهِ . وكانت امرأتهُ مع ذلك لا تزال تلحّ عليهِ وتطالبهُ بمطالب جديدة . ولمّا لم تتمكّن من الحصول على رغائبها من لبس اثواب جديدة وركوب عربات ورشف كاس

الملذّات ساد القلق بينها وبين رجلها فنغّصت عيشهُ ونغّص عيشها حتى خيّل انَّ جهنمًا أوت الى منزلهما وفي آخر الامر عوّلا على ان يعودا الى قرية يوسف ليعتني ببعض بقايا ارزاقٍ لم يبعها عند سفرهِ الى اميركة

فعاشا هناك نحو سنة خاملَي الذكر منفردين في بيت صغير بعيد عن القرية حتى اذا كان احد ايام شهر حزيران دخل عليهما شابٌ جميل الطلعة حسن البزَّة يناهز الثالثة والعشرين من سنهِ وطلب اليهما ان يبيت عندهما في تلك الليلة فرحّبا بهِ واحسنا استقبالهُ. فاخبرهما انهُ عابر طريق اتى حديثًا من اميركة وانهُ راجع الى وطنهِ في شمالي لبنان. ثم تطرّق الشاب الغريب الى وصف اميركة وغناها واراهما اخيرًا ما جمع من المال فبُهتا لسعة ثروتهِ وبالغا في اكرامهِ

فلمَّا جنَّهمُ الليل بسطا للشاب فراشًا في غرفة كانت على سطح الدار واوى كلٌّ الى فراشهِ. امَّا المرأة فانَّها لم تستطع رقادًا واخذت تفكّر في غنى ضيفها ثم تذكّرت ماضيها وتمثّل لخيالها كيف كانت زهرة بنات مدينتها وزينتهنَّ اصبحت اليوم فلاَّحة منزوية في هذه القرية الخاملة وبعد الغنى اصبحت بالفقر المدقع وبمثل هذه الافكار كان الشيطان يجرّبها حتى اخيرًا وثبت من فراشها وذهبت الى بعلها وقالت لهُ: قم فالى متى انت ترقد والى متى احتمل عيشتك الفقريَّة. الموت ولا الفقر لقد بددت اموالي وصيرتني نظيرك فلاحة خاملة. وشرعت تسبُّه وتشتمه وتلعن الساعة التي عرفتهُ بها. امَّا بعلها المسكين فانهُ كان برجوعه الى وطنه عاد الى فطرته الاولى من السذاجة ولكي يسكن روع امرأتهِ اخذ يلاطفها ويترضاها. امَّا هي فابت الا تزيدهُ شتمًا ولعنًا واخيرًا قالت لهُ: خذ هذا السكين واذبح هذا الغريب لنأخذ ما معهُ من الدراهم ونعود الى سالف حياتنا المدنيَّة

فارتعش الرجل عند ما سمع هذا الكلام وقال لها: ويحكِ لا ترهبين من الله أهذا حقُّ الضيافة. كيف نلطخ ايدينا بدم شابٍّ غريب ائتمننا على حياتهِ ومالهِ. وان كان صوت ضميركِ لا يردعكِ افلا تخافين من عقاب الحكومة فلربَّما . . .

— عليَّ باخفاء الامر لانهُ ما من احدٍ من سكان القرية نظرهُ داخلًا علينا فهيَّا واذبحهُ والَّا . . .

وكانت تارةً تتهددهُ وطورًا تتملقهُ وتصور لهُ لذة الغنى والثروة حتى اقتنع امَّا

تخلصاً منها واماً طمعاً بنوال امواله واخذ السكين من يد امرأته وتوجه حيث يرقد الشاب واذ تقدَّم اليه ليتمم مقصده الخبيث خانه قلبه ورقَّت عواطفه وتأسف على نضارة شبابه ورجع الى امرأته معتذراً لها وقائلاً: حرام علينا ان نسفك دماً ذكياً وهذا الشاب لم يعمل معنا شراً. اشفقي على شبابه وهو في ربيع العمر... فاحتدمت المرأة غضباً وقالت لهُ بتهكم: انك لنذل جبان ليس عندك من عزم الرجال شيء.. واخذت منهُ السكين وذهبت الى فراش الشاب وبقلب صخري تقدمت اليه وذبحتهُ ذبح الشاة واخذت ما كان معهُ من الدراهم وجاءت الى زوجها متعجرفة وقالت لهُ: قم يا ايها النذل واحمل هذه الجثة واتبعني...

ففي اليوم الثاني لم يدرِ احد من القرية ما كان قد جرى من الاثم في ذاك المنزل الجهنمي الّا انهُ عند اصيل النهار وقفت عربة امام المنزل المذكور وخرجت منها ابنتهما التي اسرعت وعانقت ابويها بسرور وهنَّأتهما بوصول اخيها من اميركا واخبرتهما كيف انهُ مرَّ بهما وقال انهُ قصد التنكر عليكما ليرى ان كنتما تعرفانهِ. فعندئذٍ عرف المنكودا الحظ أن الذي قتلاه ليلة امس كان حشاشة كبدهما ووحيدهما...

محادثة رابعة لغوية

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرر البشير ومدرّس الخطابة في كلية القديس يوسف

انجز عقل وعدهُ ورجع اليَّ بعد ثمانية ايام وبيده المقالة التي كتبها صاحب مجلة الضياء في الانتقاد على كتبة الجرائد وهذا خلاصة ما دار بيننا من الحديث:

(قال) رأيتُ في كلامك لفظة عشَم بمعنى أمَل والحال ان صاحب مجلة الضياء ينتقد على كتبة الجرائد استعمال هذه الكلمة بالمعنى المذكور ودونك نص كلامه (في الصفحة ٦٣) «ويقولون لهُ في هذا الامر عشم اي امل وانما العشَم في اللغة بمعنى الطمَع واستعماله بمعنى الامل عاميّ» فهل لهذه الدعوى صحة ؟

(قلتُ) ان تفريقه بين الطمع والامل في هذا المقام هو غلط محض لان اللغويين كلهم متفقون على ان الطمع والأمل مترادفان فهم يفسرون الطمع بالرجاء والرجاء بالامل فيكون الطمع والامل بمعنى واحدٍ

(قال) أُريد ان تذكر لي كلامهم بحرفيته فانهُ أدعى لثقتي

(قلت) طلبك صوابي. وجئتُ بلسان العرب فرأينا فيهِ ما نصهُ: « طمع فيه طمَعًا وطماعةً وطماعيةً فهو طَمِعٌ وطَمُعٌ رجاهُ ». ثم فتحنا كليات ابي البقاء فقرأنا فيها: « الرجاء بالمدّ الطمع في ما يمكن حصولهُ ويُرادفهُ الامل ». واخيرًا تناولنا اللسان مرَّةً ثانية فرأيناه يفسّر الامل بالرجاء ونص كلامه: « الأمل والأمْل الرجاء »

(قال) كفاني ما قد ذكرتَ عن هذه المسألة فارغب اليك ان تفيدني عن امور اخرى في مقالة هذا الرجل

(قلت) ما هي ؟

(قال) انهُ يُغلِّط الكتبة (ص ٣٦) في استعمال « رحوم » ويدعي ان الصواب رحيم

(قلت) انهُ يجازف كثيرًا حتى لا تكاد ترى لهُ في هذه المقالة حكمًا صائبًا. ومن المعلوم ان اللغوي يتعيَّن عليهِ ان يعتمد في مباحثه على علماء اللغة ومعجماتها غير ان صاحبنا هذا اذا صح ان يسمَّى لغويًا لا يعتمد الَّا على حكم نفسه فيقود بعض المغرورين بمعارفه الى الضلال

(قال) انك تتكلم بالحق ولقد كنت أنا نفسي من جملة المخدوعين فاشكر لك كل الشكر على اظهار حقيقة حاله وبيان قدره فانك بهذه الوسيلة تخدم اللغة خدمة صحيحة

(قلت) اتمنى ان أكون مفيدًا لابناء هذه اللغة العزيزة

(قال) ثق ان جميع الذين لهم اهتمام باللغة يطالعون ما تنشرهُ في المشرق بلذة وينتفعون منهُ. ولو كنتَ تدَّعي دعاوي باطلة دون ان تعززها بالشهادات الكثيرة لما وقع كلامك عندهم هذا الموقع ولكنك تُسند كل شيء الى قائله وهذا هو المطلوب في مثل هذه الامور

(قلت) دعني ارجع الى الجواب على مسألتك الاخيرة وأوضح لك غلط صاحب الضياء

(قال) كلي مسامع

(قلت) ان ابن منظور يقول في اللسان ان رحوماً ورحيماً هما سواء ونص كلامه: « رحيم فعيل بمعنى فاعل كما قالوا سميع بمعنى سامع وقدير بمعنى قادر وكذلك رجل رحوم وامرأة رحوم »

وعلى فرض ان استعمال هذه الكلمة غلط فلماذا ابقاها صاحب الضياء في ترجمة الكتاب المقدس يوم اتخذهُ الجزويت لتصحيح العربيَّة ففي تثنية الاشتراع مثلاً (٤ : ٣١) « لان الرب الهك اله رحوم » ومثل ذلك ايضاً في غيره من الاسفار فهل كان المذكور في ذلك الزمان اقلّ علماً من اليوم ؟

(قال) انهُ يغلّط الكتَّاب ايضاً في قولهم « سلعة مُباعة » قائلاً ان الصواب « مبيعة »

(قلت) ان قولهم « سلعة مباعة » يعنون بها معرَّضةً للبيع فلا وجه اذاً لتخطئتهم. قال صاحب اللسان: « أباعهُ عرَّضهُ للبيع قال الهمذاني

فرضيت آلاء الكميت فمن يَبِعْ فرساً فليس جوادنا بمباعِ

اي بمعرَّض للبيع »

وجاء في كتاب الزهر ما نصهُ: « قال ابن دريد في الجمهرة سألتُ ابا حاتم عن باع وأباع فقال سألت الاصمعي عن هذا فقال لا يُقال اباع فقلت قول الشاعر فليس جوادنا بمباعِ فقال غير معرَّض للبيع »

(قال) ما قولك في هاته

(قلت) هي اسم اشارة دخلتهُ هاء التنبيه

(قال) أعلم هذا ولكن اسمع ما يقول صاحب الضياء عنها: « ومن تهافت كتَّاب الجرائد في التقوُّل ما اولع بهِ اكثرهم من استعمال لفظة هاته في مكان هذه ذهاباً الى انها افصح منها وما هي بالفصحى ولا الفصيحة وهذه معلقات العرب بل قصائدها التسع والاربعون وهذه دواوين شعرائهم من مثل عنترة والنابغة وحاتم وعروة ابن الورد والفرزدق وجرير وغيرهم . . . هل تجد في ذلك كله لفظة هاته . . . ولقد قلّبنا كثيرًا من صحف الكتاب في كل عصر من أعصار الاسلام فلم نجد هذه اللفظة في شيء من كتب المتقدمين . . . »

(قلت) كل هذا جعجعة من غير طحن بل كلمات فارغة لا تفيد حقيقةً فان

المتقدمين كما استعملوا « هذه » استعملوا « هـاته » ايضاً . ولو لم تكن واردةً على ألسنتهم لما دوَّنها اصحاب المعجمات لانهم نقلوا الينا كلام العرب وممن استعملها النابغة الذبياني في قوله :

ها ان تَهْ عذرة ان لم تكن نفعت فانَّ صاحبـها قد تاهَ في البلدِ

وروى بعضهم « تا وتي » في مكان « تَه » ولو كان الوقت متسعًا للتنقيب والمطالعة لزدتك ايضاحاً واتيتك بعددٍ من الشواهد على استعمال هذه الكلمـة في شعر المتقدّمين

ثمَّ افترقنا على وعد ان نتباحث في مرَّةٍ آتيةٍ عن كُتُب اللغة وما فيها من النقص

مطبوعات شرقية جديدة

Studie zur syrischen Kirchenlitteratur der Damascene

von Edouard Sachau, SS. 29, 1899

بحث في الآداب الكنسيَّة السريانية الجارية في بلاد دمشق

هذا البحث نشرهُ الدكتور ساخو من مشاهير علماء عصرنا بالآداب السريانيَّة في جملة اعمال المكتب العلمي في برلين قبل سنتين ثم طبعـهُ منفردًا . وهو يتضمَّن وصف ٢٨ كتابًا بالسريانيَّة اقتنتها المكتبة الملكيَّة في برلين من دمشق ونواحيهـا وخصوصاً من دير عطيَّة شمالي دمشق على طريق السائر منهـا الى تدمر . واغلب هذه الكتب مخطوطة في القرن الخامس عشر للمسيح في قارا ومعلولة ومدارهـا على الفرائض والصلوات والرُّتب الكنسيَّة التي يستعملها الروم الملكيُّون من كاثوليـك وغيرهم في جميع فصول السنة كالاكطويخس والسواعي والتريودي والمعزّي والطروباريات والقاشمات والقناديق والانتيفونات . فانتهز الدكتور ساخو هذه الفرصـة ليبحث عن آداب اللغة السريانية الكنسية التي كانت جارية قديمًا بين الملكيين في انحاء دمشق فبيّن اصلها وشيوعها وخواصّها اللغويَّة ووجوه موافقتها لكتب السريان كالموارنة واليعاقبة وما تختلف به عنها . وبحث عن كتابة هذه المخطوطات وعارضها بالخطّين السريانيين الغربيّ والشرقيّ واظهر اختلافها عنهما من وجوهٍ شتَّى . وقصارى القول انَّ الدكتور ساخو ايَّد ما

سبق لنا مراراً قولهُ عن الروم الملكيين واصليهم ولغتهم في بلاد الشام (راجع مقالتنا في خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ٩٧—١٠٧). وقد الحق كتابهُ باربع صفحات من المخطوطات التي وصفها وهي مرسومة بالتصوير الشمسي

ARABISCH, PERSISCH UND TÜRKISCH
dargestellt von Dr Hans Stumme, Leipzig 1902, SS. 62.

العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة

بينما نرى بعض الكتبة الاجانب يتسعون اتساعاً مفرطاً في بيان صرف ونحو اللغات العربيَّة والفارسيَّة والتركية فلا يدعون فصلًا الَّا يستقصون موادهُ ويستنزفون دقائقهِ نرى غيرهم يسعون بحصر فوائد هذه اللغات بصفحاتٍ قليلة ليسهل حفظها ويُتوصَّل الى فوائدها بوقت قريب. وهو الامر الذي توخَّاهُ الدكتور ه. ستومه احد اساتذة كليَّة ليبسك وخلف العلاَّمة الفاضل البرت سوسين في تدريس اللغات الشرقيَّة. وقد جرى في الكتاب الذي اهدانا منهُ اليوم نسخةً على طريقة مبتكرة تُمكّن طلبة اللغات السابق ذكرها من اتقانها على وجهٍ قريب المنوال فاثبت بقواعد قصيرة اجماليَّة ابواب كل لغة بافرادها مع ذكر اللهجات الشائعة بين العامَّة وما تختلف بهِ عن لغة الأُدباء. وللمؤلف جداول واصطلاحات في تفصيل الابواب توفّر عليهِ الاسهاب في الشرح وكذلك قد اختار اصنافاً مختلفة من الحروف ليتبادر النظر بسرعة الى القواعد الاصليَّة ويفرزها عن الملاحظات الدقيقة. وهذا التأليف باللغة الالمانيَّة نحضُّ المستشرقين على دراستهِ لحسن تنسيقهِ ووفرة مادَّتهِ مع صغر حجمهِ

FARABIS TRAKTAT «UBER DIE LEITUNG»
aus d. Arabischen übersetzt
v. G. Graf Seminar-Präfekt in Dillingen a. D.

يسرُّنا انَّا نرى افاضل المستشرقين في المانية وفرنسة وايطالية وانكلترة مقبلين على مجلَّتنا يثنون على ما يجدون فيها من المقالات فطوراً يلخصونها وطوراً ينقلون عنها شذرات يستحسنونها. لكنهم يرتاحون بالخصوص الى ما يجدون فيها من الآثار القديمة في الآداب واللغة والحكمة واللاهوت واليوم قد ارسل الينا حضرة الدكتور جرج غراف

مدير الدروس في مدرسة ديلنغن ترجمة كتاب السياسة للفارابي الذي اثبتناهُ السنة المنصرمة في اعداد المشرق (٦٤٨:٤ و ٦٨٩) فنقلهُ حضرتهُ الى الالمانية وصدَّره بمقدَّمة مفيدة لتعريف مقام الفارابي وخطارة مصنَّفاته الفلسفيَّة. فنثني على همَّة الدكتور ونتمنَّى لترجمته الحظوى في اعين محبّي الآثار الشرقيَّة ل. ش

شذرات

منداريّ يسوعيّ افادتنا اخبار الصين الاخيرة انَّ امبراطورة الصين والامبراطور ابنها منحا الاب بكير (Becker) اليسوعيّ رتبة مَنداري من الطبقة الثانية مع امتياز ريشة الطاوس جزاء لهُ على الخدمات العظمى التي اداها للدولة الصينيَّة في تشيلي بعد دخول الدول المتحالفة اليها وهي نعمةٌ لم ينلها حتى الآن غير افراد قليلين من الاجانب في الشرق الاقصى

لفائف ورق القهوة لا يزال الاطباء يندّدون بالتبغ وبالمدخّنين به لما في هذا النبات من المواد السامَّة التي تحقّقوا سوء تأثيرها في بنية الجسم وفي القوى العقليَّة. فبحث المسيو برَّال (Barral) عن نبات يجمع خواصّ التبغ دون مضرّاته يمكن التدخين به فبعد الامتحانات العديدة وجد ورق القهوة اصلح ما يكون لذلك فانَّ فيه كل الخواص الكيموية المناسبة للتدخين دون مادَّته السامَّة. فاصطنع منهُ لفائف للتدخين (سواجير) فوجدها لذيذة الطعم طيبة الرائحة لما تتضمَّن من المواد الآليَّة كالازوت والبوطاسة والصودا وفيها الحامض القهوريّ (acide cafétannique) وهو ترياق لسمّ النيكوتين وفيها ايضاً الكلس والمنيسيا والسيليس وكلّها عناصر مفيدة لا تؤذي. وقد ادَّى تحليلهُ لمئة قسم من ورق القهوة فوجد فيه ٨ اقسام من الرطوبة و ٨٢ قسماً من المواد الآليَّة و ١٠ اقسام من المواد المعدنيَّة

المسيو ڤكتور شربونيل هو كاهن كاثوليكي خلع عنهُ ربقة الدين فرق منهُ وتذهب بمذهب الضلال ثمَّ ارخى العنان لشهواته بالسفاح الممقوت وخالف سنن التمدُّن بمباشرة البراز ونشر النتن فطردتهُ حكومة بلجكة ومدنٌ عديدة في فرنسة من تخومها. وهذا الرجل الكبير الفضل يشرّف اليوم اليسوعيين بكتاباته الممتازة!!! وعنهُ اخذ صاحب الضياء مقالةً زيَّن بها صدر

العددين الاخيرين من مجلّته. فنعم المؤلف ونعم الناقل. وهي المقالات يصحّ القول فيها:

« فلم تكُ تصلح الّا لهُ   ولم يكُ يصلح الّا لها »

قصيدة سريانيَّة اهدانا حضرة القس الفاضل يوسف حبيقة قصيدةً من نظمهِ في السريانيَّة دعاها نغمات الاوتار السريانيَّة في مديح شهر أيّار والحث على العبادة المريميَّة فيها احد عشر دورًا هذا مطلعها:

ܡܢ ܟܠ ܒܢ̈ܝܢ ܫܦܝܪ ܐܝܬ   ܒܢܫ̈ܐ ܕܡܪܝܡ ܫܦܝܪ ܐܝܬ
ܡܛܠ ܕܒܬܘܠܘܬܐ ܡܫܪܪܬ   ܘܒܟܠ ܡܘ̈ܗܒܬܐ ܡܥܛܪܐ ܐܝܬ
ܡܢ ܟܠ ܢܫ̈ܐ ܐܝܬ ܙܟܝܐ   ܘܡܢ ܟܠܗ̇ ܢ̈ܩܒܬܐ ܐܝܬ
ܘܒܡܘܗ̈ܒܐ ܚܢ ܡܢܗ̇ ܐܘܪܥܬ ܐܝܬ   ܘܐܚ ܟܢܘܬܐ ܕܒܪܝܫ ܐܝܬ

المنديل السليماني يذكر القرّاء أنّنا في السنة الثالثة من المشرق (ص ١١٠٣) سُئلنا عن سبب تسمية العذراء في القرض السرياني بمنديل سليمان ܡܡܫܐ ܕܫܠܝܡܘܢ فاجبنا انَّ اللفظة « ܡܡܫܐ » معنى الستر والحجاب فيكون المعنى انَّ البتول كانت بولادة ابن الله بمنزلة السرّ الحاجب لجلاله تعالى في هيكل سليمان. ثمَّ افادنا حضرة القس يوسف حبيقه (المشرق ٥: ١٤٤) انَّ الآباء المصنفي القرض الالهيّ اشاروا بهذا المنديل الى آيةٍ في سفر الامثال (٣٠: ٤) ورد فيها: « مَن جمع الامواه في منديل ». فدوَّنّا هذا الشرح شاكرين. واليوم قد قرأنا في العدد الاخير من الروضة رسالة من حدتون لحضرة الخوري الفاضل نعمة الله نصّار يرجّح فيها كون المنديل المذكور انّما هو منديل جمع فيهِ موسى المنَّ الذي جعله في تابوت العهد. واستدلَّ على ذلك بما ورد في القرض السريانيّ من نسبة هذا المنديل لموسى (ܡܡܫܐ ܕܡܘܫܐ) كنسبتهِ الى سليمان. وهو شرح ثانٍ نثبتهُ دون الجزم بهِ

مشاهير حمص قرأنا في العدد ١٨٩١ من النشرة الاسبوعيَّة (٢٤ نيسان ١٩٠٢) ان حمص لم يخرج منها احد من المشاهير الّا اليناباليس الكاهن الوثني الذي صار بعدئذٍ امبراطورًا على رومة ثم الدكتور صموئيل تنداير ولسن (كذا) المولود في حمص سنة ١٨٥٨ وهو اليوم رئيس كليَّة ماريڤيل في ولاية تنسي من اعمال اميركة. فاخذنا العجب من قولٍ كهذا يدلُّ على جهل صاحبهِ ويبخس حقوق مدينة حمص مع ما اشتهر فيها من كبار الرجال. ولو حاولنا سرد اسمائهم لطال بنا الكلام ونكتفي بما يحضرنا الآن بديهًا. ١ً البابا انيكيتوس. ٢ً القديس غلاقتيون الشهيد. ٣ً القديسون

يليان وديودورس وورومانوس صاحب الاناشيد وسمعان سالوس وابراهيم الناسك والقديسة مترونة وغيرهم كثيرون من اولياء الله والشهداء. ٤ً الفيلسوف الكبير لنجينوس صاحب زينب (راجع المشرق ١:٩٢٢). ٥ً قومٌ من ائمّة العلماء والفقهاء والكتبة كهيليودور وأُليان واوسابيوس يطاُقوس الخ. ٦ً الامبراطور الشهير اسكندر ساويرس وامهُ الامبراطورة جوليا ماماً مع عدَّة امراء من سلالة الدولة الرومانيَّة المعروفة بالسوريّين وانتماء اكثرهم الى حمص. هذا فضلًا عن جمهور من فضلاء السريان والعرب الذين شرَّفوا تلك المدينة بمناقبهم الغرّاء. فكيف كتبت النشرة ما كتبت ولم تذكر من مشاهير حمص سوى رجلين احدهما شرير لا يعرف لهُ التاريخ الّا مآثمهُ وفجوره والثاني مجهول لم نسمع لهُ ذكرًا حتى الآن

المستشفيات في الغرب وصلنا والمجلّة ماثلة للطبع العدد ٢٤ من المنار (٢٧ نيسان ١٩٠٢) فقرأنا فيهِ شكاية فظيعة على الكنيسة الغربية نراها محض افتراء وهذا قولها بالحرف (ص ٣٧٦ و ٣٧٧):

« ان الكنيسة الغربيَّة كانت تظهر في جميع ادوارها مقصّرة في سبيل الخير حذاء اختها (يريد الكنيسة الشرقية) وذلك من كون عمّالها كانوا يصرفون تلك القناطير المقنطرة من الدينار على البذخ وقلّما كانوا يتحوَّلون بانظارهم نحو اخيهم البائس ولاسيَّما الابرص... فانها (اي فرنسة) اينما كانت تمر بابرص كانت توافي بهِ الى الكنيسة حيث بعد تتميم فروض الجناز على جثتهِ الحيَّة في الحال تستولي ورثتهُ على ميراثهِ... ويأتي الكاهن ويقذف ذاك المنكود الحظّ برجلهِ قائلًا: اذهب خارجاً... ومثل هذه المعاملات كانت منتشرة ايضاً في تلك الأيام في انكلترا.. »

ونحن نردّ على هذه التهم في عدد آخر ان شاء الله

المعرّف والمعترف اطّلعنا في العدد الاخير من المحبّة الصادر في ٢٧ نيسان ١٩٠٢ (ص ٢٤٠) على فصل محفوظ التوقيع من الشويفات ثلب فيهِ صاحبهُ صيت احد الكهنة الكاثوليك برواية خبرٍ من شأنهِ ان يزيل عواطف الحبّ والائتلاف التي تزعم المحبَّة انّها تسعى في توثيقها بين الطوائف. فان كان الامر صحيحاً (ولا نخالهُ) كان الاحرى ان يُرفع الواقع الى اسقف الكاهن المذكور ليجازى على طمعهِ لا ان يُنشر على اشهاد الملإ كما فعلت المحبة فاثارت بذلك الشحناء على دعاة الدين

أسئلة وأجوبة

س سألنا الاديبان خليل ابو عقل من دمشق وفرح يوسف سعيد من بنداد: ١ً هل جهنم

نار مادية ام غير مادية؟ ٢ً هل يمكن حمل النصوص الواردة عن ذلك في الاسفار المقدَّسة على المجاز؟ ٣ً هل اثبتت الكنيسة كون نار جهنم مادية ومتى؟ ٤ً هل الذي لا يؤمن بهذه الحقيقة يُعدّ كاثوليكيّ. ٥ً كيف يمكن نارًا ماديَّة ان تعذّب جوهرًا غير ماديّ كالنفس

جهنَّم ونارها

ج نجيب على (الاول والثاني) انَّ نصوص الكتاب الكريم التي ورد فيها ذكر نار جهنَّم اكثر من أن تُحصى وكلُّها تصف النار وصفًا لا يمكن حملهُ على المجاز بل على نار ماديَّة هيوليَّة تعذّب نفوس الهالكين بعذابات حسيَّة لا نقوى على ادراكها. وكذلك قضى جميع آباء الكنيسة شرقًا وغربًا وجمهور اللاهوتيين واقوالهم شهيرة لا حاجة الى ايرادها. غير انَّ وجود نار ماديَّة في جهنَّم لا يحوج الى القول بان خواصّ هذه النار كخواصّ نار عالمنا الهيولية من حيث اللهيب والنور والجمر وغير ذلك من اعراض النار ليس من جوهرها. ولعلَّ هذه النار من صنف الكهرباء او غير ذلك ممَّا لا يتصوَّرهُ عقل بشر. نجيب على (الثالث والرابع) ان الكنيسة لم تثبت هذه العقيدة في مجامعها. الَّا انَّ ذلك لا يسمح للمؤمن بان ينكر هذه الحقيقة وهي موجودة صريحًا في الكتاب المقدَّس. ومعلوم انَّ العقائد الكاثوليكية ليست كلُّها مثبتة من المجامع وكثيرٌ منها في الكتاب المقدَّس او في التقاليد الكنسيَّة الراهنة. وهذه الحقائق لا يمكن جحودها دون خطإٍ مُميت وان لم يُقطع تاركها كاثوليكي من جماعة الكنيسة. نجيب على (الخامس) انَّهُ ليس بمستحيل على الله ان يتَّخذ جرمًا هيوليًّا لعذاب جوهر غير ماديّ كالنفس ويكفينا لاثبات ذلك انَّ جسدنا الماديّ يفعل بنفسنا غير المادّية والعكس بالعكس

س سألنا س. ق. ١٠. هل يجوز استعمال «بارح» بمعنى «برح»

برح وبارح

ج قد نكر الشيخ ابراهيم اليازجي في مقالته عن لغة الجرائد استعمال بارح بمعنى برح. على انَّ المعلّم الاديب اللغوي رشيد افندي الشرتوني والامير الفاضل شكيب ارسلان قد خطَّأَاهُ في ذلك (راجع المشرق ٢:١٠٦٧ و٣:١٢٥ واقرب الموارد) وان لم يرضَ الشيخ بهذه الشواهد ذكرنا لهُ قول والدهِ الطيّب الذكر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي حيث قال:

بارحتُها وتريل الشوق في كبدي اقام يبرق دمعًا رُشَّ كالعنَمِ